في رحاب الحرمين

آداب ومناسك الحج والعمرة وزيارة النبي ﷺ
مع دراسة تاريخية لعمارة الحرمين الشريفين

إعداد

المستشار/ مصطفى فرغلي الشقيري

رئيس محكمة استئناف القاهرة

المكتب المصري الحديث

من كل صـوب أقـبل العـشـاق

والقلب فى أعـمـاقـهـم خـفـاق

للكعبـة الغـراء جـاءوا واحـتـمـوا

كـل إلى ظـل الحـمـى سـبـاق

صاموا وقاموا فى الرحاب وأفطروا

خـيـراً كـثـيـراً سـاقـه الرزاق

كـل بفـضـل الله آثر غـيـره

والـكل من نـهـر المحـبـة ذاقـوا

(الشاعرة علية الجعار)

مقدمة

هذا الكتاب هو خفقات قلب يذوب شوقًا وخطرات نفس أضناها الحنين إلى تلك البقاع الطاهرة

مهوى الأفئدة الظامئة ومهبط الوحى الطهور وعلى ثراها الطيبة خطا الرسول الكريم وغدا وراح جبريل الأمين بالنور المبين يقذفه على قلب محمد الأمين رحمة الله للعالمين.

فى هذه الصحراء الجدباء أجيبت دعوة إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. قال عليه الصلاة والسلام : «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمى»(١).

من تلك الصخور الصماء تفجرت ينابيع الخير ففاض الماء عذبًا نميراً ليروى الإنسانية الظامئة ويحيى الأرض الهامدة التى أقفرت من انقطاع وحى السماء، فاهتزت وربت وأنبتت ملائكة فى إيهاب بشر، بهم سعدت الإنسانية وتخلصت من ربقة الظلم والاستعباد وتحرر العقل البشرى من الضلالات والترهات ليعيش فى أنوار الإسلام، نعمْ برسالة محمد ﷺ أنار الوجود وتجدد

(١) رواه أحمد والبزار وابن حبان.

شباب الرسالات السماوية التى شوه معالمها الضالون من أتباعها.

لكل ذلك نشتاق إلى شد الرحال إلى تلك البقاع المقدسة تلبية لدعوة أبينا إبراهيم. يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج: ٢٧].

قال ابن عباس لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له أذن فى الناس بالحج، قال يا رب: وما يبلغ صوتى قال أذن وعلى البلاغ فصعد إبراهيم على جبل أبى قبيس وصاح: «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا» فأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء: «لبيك اللهم لبيك»(١).

فى هذه النبضات القلبية التى ترجمتها إلى كلمات مقروءة أصحبك يا أخى المسلم لنعيش سويًا فى هذه الرحاب المقدسة، بدءاً من الاستعداد للرحيل مروراً بالإحرام، وطواف القدوم والسعى بين الصفا والمروة، ثم الارتواء والتضلع من ماء زمزم. والذهاب إلى منى والوقوف بعرفة والإفاضة منها. والذهاب إلى المزدلفة وجمع الحصوات فرمى الجمرات والمبيت بمنى.

---

(١) صفوة التفاسير جـ٢، ص ٢٦٣.

ثم أصحبك حيث نعيش سويًا فى صحبة سيدنا ومولانا محمد ﷺ فى حجته بدءاً من إحرامه وحتى طواف الإفاضة.

ثم نشد الرحال إلى المسجد النبوى يحملنا طائر الشوق إلى رحاب النبى الكريم ﷺ ليحط بنا فى المدينة فى جوار الحبيب فهيا بنا لنعيش فى رحاب الحرمين.

متى فرض الحج

اختلف العلماء فى تاريخ فرضية الحج إلى ثلاثة أقوال قيل فى السنة السادسة من الهجرة وقيل فى السنة الخامسة وقيل فى التاسعة. والمختار لدى جمهور العلماء أن إيجابه كان سنة ست بعد الهجرة لأنه نزل فيها قوله تعالي: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والحج عبادة قديمة حافظ عليها العرب منذ عهد إبراهيم عليه السلام إلى عهد خاتم الأنبياء محمدﷺ لكنهم غيروا وبدلوا فى المناسك وابتدعوا فيها إلى أن بعث الله محمد ﷺ فأحيا سنة أبيه إبراهيم وقضى على البدع والعادات الجاهلية وأبان لنا مناسك الحج، كما شرعها الله .

وتحقق وعد الله لإبراهيم : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج: ٢٧].

زر من هويت وإن شطتْ بك الدارُ

وحال من دونه حُجُبٌ وأستار

لا يمنعنك بُعدٌ عن زيارته

إن المحبَّ لمن يهواهُ زوّار

من حكمة الحج

«وفى هذه العبادة من المنافع ما لا توجد فى غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال، وركوب الأهوال، وخلع الأسباب[1]، وقطيعة الأصحاب وهجرة البلاد والأوطان، وفرقة الأولاد والخلان، والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطىء الحياة وركب بحر الوفاء، لا ينفع وحدته إلا ما سعى فى معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده، وغُسْل من يحرم، وتأهبه، ولبسه غير المخيط، وتطيبه، مرآة لما سيأتى عليه من وضعه على سريره لغسله، وتجهيزه مطيبًا بالحنوط ملففًا فى كفن غير مخيط، ثم المحرم يكون أشعث حيران، فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان، ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبًا ورهبًا، سائلين خوفًا وطمعًا، وهم من بين مقبول ومخذول، كموقف العرصات[2] لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقى

---

(١) خلع الأسباب: خيار المال.

(٢) العرصات: جمع عرصة وهى كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء، ومنى هو موقف المُنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين، وحلق الرأس والتنظيف، كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيت الحرام الذى من دخله كان آمنًا من الإيذاء والقتال. أنموذج لدار السلام التى هى من نزلها بقى سالماً من الفناء والزوال، غير أن الجنة خفت بمكاره النفس العادية، كما أن الكعبة خفت بمتالف البادية، فمرحبًا بمن جاوز مهالك البوادى، شوقًا إلى اللقاء يوم التنادى»[1].

(١) تفسير النسفى، جـ٣، ص ١٥١، ط دار النفائس.

الحج مؤتمر لولاة أمور المسلمين

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] كثير من المفسرين فسروا كلمة منافع على أنها المناسك أو التجارة ولكن هذا التعبير القرآنى الصالح لكل زمان ومكان يتسع ليشمل كل أمر ينفع المسلمين فى أمور دينهم ودنياهم.

وإن الذى يشاهد جموع الحجيج الذين جاءوا من شتى البلاد وقد اجتمعوا على صعيد واحد يرددون كلمة واحدة: «لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» يهتفون بلغة واحدة رغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم، لباسهم واحد لا فرق بين جنس وجنس ولا بين حاكم ومحكوم.

إن الذى يرى هذا الحشد المبارك الذى يباهى الله به ملائكته لا يسعه إلا أن يقول: لك الحمد يا رب على أن جمعت هذه الأشتات المتفرقة، ووحدت بينهم، وحدة فى العقيدة، وحدة فى المشاعر والشعائر والشرائع.

الوحدة الإسلامية بكل معانيها تشاهدها فى موسم الحج، إن الله سبحانه وتعالى لم يجمع شمل المسلمين على هذا الركن من أركان الإسلام عبثًا أو عنتًا لهم، إنما ليجعل من المسلمين قوة سياسية واقتصادية وعسكرية؛ ليخيف أعداء الإسلام والمسلمين

الذين روعوا الآمنين فى كل بقعة من بقاع العالم الإسلامى.

ولو فقه المسلمون قول الحق جل فى علاه ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ لكان موسم الحج مؤتمراً إسلاميًا لأولى أمر المسلمين لبحث مشاكلهم وتدارس أمورهم .

إن العالم الإسلامى يمر بمرحلة حرجة تستدعى تضافر الجهود وتوحيد القوى والاستفادة من اجتماع المسلمين لبحث هموم الأمة الإسلامية والتصدى للأخطار المحدقة بها لأن قوى الشر متربصة بها وتحاول أن تفرض القوامة عليها وتسلخها من تعاليم دينها وترهبها بشتى الوسائل متذرعة فى ذلك بأسباب هى أوهى من بيت العنكبوت وفى عصور الإسلام الزاهرة كان خليفة المسلمين يذهب إلى الحج ويتباحث ويتشاور مع العلماء فى أمور الأمة الإسلامية.

خرج أبو جعفر المنصور حاجًا .. ومنذ أول يوم لوصول قافلة المنصور، أقبل العلماء والفقهاء والشعراء من مكة ومن المدينة يسلمون على خليفة المسلمين، ويقضون فى مجلسه وسمره أوقاتًا طيبة يناقشون أمور الدين والدنيا، ويضرعون إلى الله أن يهدى الناس، وأن يقيمهم على البر والخيرات وصالح الأعمال.

ويسأل المنصور ذات مساء عن «أبى حنيفة النعمان» الذى افتقده منذ وصولهم، فأجاب الربيع الحاجب: أنه منذ جاء معنا

إلى مكة وهو لا يغادر الحرم، وإن شاء أمير المؤمنين بعثنا فى طلبه. قال المنصور: بل دعوه وشأنه، فما حاجته إلينا وقد جئنا نبتغى جميعًا رضاء الله ومغفرته. وامتد السماط ليتناول المنصور العشاء مع خاصته، وقبل أن تمتد الأيدى إلى الطعام، دخل الربيع يعلن وقوف أبى حنيفة بالباب، فأذن الخليفة بدخوله على الفور.

ولم يصب أبو حنيفة من طعام المنصور شيئًا، وانتحى مجلسًا قريبًا منه يتمتم بالأدعية ويتلو من كتاب الله آيات بينات.

ولما فرغ المنصور من طعامه، أقبل على أبى حنيفة يسأل عن حال المسلمين فى مكة: ويدور حديث عذب بين الجالسين، ويستمع المنصور فى شغف إلى حديث الفقهاء فى مجلسه، ويتوجه أبو حنيفة إلى المنصور يسأله عن تتمة حديثه الذى بدأه فى بغداد ليلة السفر؛ عن أركان الملك التى لا يصلح إلا بها، فيبتسم المنصور ويقول: جزى الله أبا حنيفة خيراً أن أثار هذه المسألة فما أحوجنى وأنا أمين على هذا الملك العريض إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى أعف منهم قال أبو حنيفة: ومن هم هؤلاء الأربعة يا أمير المؤمنين؟.

سكت المنصور لحظة، ثم تلاقت أنظار من فى المجلس على وجهه، ثم قال: هؤلاء الأربعة هم أركان الملك، ولا يصلح إلا بهم

كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم، إذا نقصت واحدة تداعى السرير ثم تهاوى. أما أحد الأربعة فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والثانى صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصى، ولا يظلم الرعية فإنى على ظلمها غنى، أما الرابع...

وهنا سكت المنصور برهة ثم عض على أصبعه ثلاث مرات وقال: آه من هذا الرابع..

قال أبوحنيفة: من هو ذلك الرابع يا أمير المؤمنين؟

قال المنصور وهو يتفرس فى وجه أبى حنيفة: الرابع صاحب بريد يكتب عن هؤلاء الثلاثة على صحة...

وبينما المنصور وأبو حنيفة يطوفان بالكعبة، رأى المنصور رجلاً فى ركن قريب يتطلع إلى السماء ولم يلبث أن سمعه يقول فى ضراعة : «اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع».

جزع المنصور من دعاء الرجل، فلم يكمل طوافه، وخرج فجلس فى ناحية من المسجد مهمومًا ، ولما أقبل الربيع حاجبه، طلب إليه أن يذهب إلى صاحب الدعاء ويدعوه إلى لقاء خليفة المسلمين، ثم أشار إلى أبى حنيفة أن يجلس قريبًا منه ليسمع معه حديث صاحب الدعاء.

ذهب الربيع الحاجب إلى حيث يجلس الرجل وابتدره قائلاً: سمعك أمير المؤمنين تشكو إلى الله ظهور البغى والفساد فى الأرض وقد أراد أعزه الله أن يراك وأن يسمع إليك.. قال الرجل فى هدوء رصين: قد كنت أشكو إلى الله وليس إلى المنصور. أذهب عنى أصلحك الله.

أدرك الربيع أن الرجل واحد من الزهاد، وأن الجدال معه لا طائل من ورائه، فلم يكن أمامه إلا أن يستفزه، ويثيره فقال له: أراك تخاطب الله، ولا تخشى لقاءه، فحرى بك ألا تهاب لقاء عبد من عباده الصالحين. هيا، وقم معى إلى لقاء أمير المؤمنين فهو حظوة للسعداء. وهنا طلب الرجل الزاهد من حاجب الخليفة أن يمهله حتى يصلى ركعتين، ثم يذهب معه إلى حيث يجلس خليفة المسلمين دون أن ينتبه إليه أحد.

وسلم الرجل على الخليفة، وهنأه بسلامة الوصول إلى أرض الله المقدسة، ثم سكت، فدعاه المنصور أن يجلس قبالته فجلس. قال المنصور فى وداعة: سمعتك فى طوافى تشكو إلى الله ظهور البغى والفساد فى الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فوالله لقد حشوت مسامعى بما أوجعنى.

قال الرجل: قد شكوت إلى الله وحده، ولم أشك إلى المنصور.

قال المنصور: أعلم ذلك، وما من سلطان لى عليك فى هذا

الحرم، إنما أحببت أن تعين لى بعض ما تراه من البغى والفساد لعلنا نقدر على ألا يكون فى أيامنا بغى أو فساد.

قال الرجل وهو يرفع عينيه إلى وجه المنصور: يا أمير المؤمنين.. إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجزت منك واقتصرت على نفسى ففيها لى شاغل.

قال المنصور على مسمع من الربيع ومن أبى حنيفة: أنت آمن على نفسك، فقل ما تحب أن تقوله ولا تبق شيئًا مما تحدثك به نفسك.

وسكت الرجل برهة كأنما يستجمع ويرتب أفكاره ثم قال:

إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغى والفساد لهو أنت يا خليفة المسلمين.

فقال المنصور: كيف يدخلنى الطمع بينما ذهب الدنيا فى يمينى وفضتها فى شمالي.

أجاب الرجل: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابًا من الجص والآجر وأبوابًا من الحديد وحجبة معهم السلاح، ثم سجنت نفسك فيها عنهم، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها، وقويتهم

بالرجال والسلاح، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق معلوم.

قال الرجل: قد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى بلاد الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه، فبكى يومًا بكاءً شديداً فجثه جلساؤه على الصبر فقال: لست أبكى للبلية النازلة بى ولكننى أبكى لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته. أما إذ ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب، نادوا فى الناس.. عل كل متظلم أن يرتدى ثوبًا أحمر. وكان هذا الملك يركب الفيل طرفى نهاره، وينظر فى الناس، ثم يدعو إليه كل من يلبس ثوبًا أحمر، وينظر بنفسه فى ظلامته.

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه. وأنت مؤمن بالله ومن أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك، فإن كنت تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبراً فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال، ولست بالذى تعطى، بل الله يعطى من يشاء ما يشاء. وإن قلت إنما أجمع المال لأشيد السلطان، فقد أراك عبراً فى بنى أمية ما

أغنى عنهم مالهم، وما جمعوا من الذهب والفضة، وما أعدوا من الرجال والسلاح حتى أراد الله بهم وبكم ما أراد.

قال المنصور لمحدثه: يا ليتنى لم أخلق، ويحك كيف أحتال لنفسى لتغلب حسناتى ، سيئاتى يوم الحساب؟

قال الرجل يجيب على تساؤل المنصور: يا أمير المؤمنين إن الناس أعلامًا وأئمة يفزعون إليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدونك، وشاورهم فى أمرك يسددوك.

قال المنصور: قد بعثت إليهم فهربوا منى وتباعدوا عنى.

قال الرجل: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن عليك أن تفتح بابك وتسهل حجابك، وأن تنصر المظلوم وتقمع المظالم، وأن تأخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب ثم تقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة.

واعتزم المنصور فى نفسه أمراً. اعتزم أن يستعمل ذلك الزاهد أمينًا على الخراج وشئون مظالم الناس ولو أغضب فى ذلك كثيراً ممن يشاورهم أو يعهد إليهم مصالح المسلمين.

وحين دخل إليه الربيع الحاجب طلب إليه أن يبعث بمن يحضر رجل الأمس ولم يكاشف حاجبه بما يعتزم. وذهب الربيع فى

صحبة غلمانه وخدمه يبحثون عن الرجل الذى طلبه خليفة المسلمين.

غابوا طيلة النهار يروحون ويجيئون بين الحجيج يتفرسون ويسألون، ولكنهم لم يعثروا على أثر الرجل[1].

(١) الوعى الإسلامى العدد السادس ، السنة الأولى.

دليل وجوب الحج من القرآن

أولاً: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[البقرة:١٩٤- ١٩٦]

ثانيًا: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ

نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) ﴾

[البقرة: ١٩٧- ٢٠٣]

دليل وجوب الحج من السنة

- عن ابن عُمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان»(١). متفق عليه.

- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم» ثم قال: ذرونى ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء؛ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء؛ فدعوه»(٢). رواه مسلم

---

(١) أخرجه البخارى فى بدء الوحى (٨)، ومسلم فى الإيمان (١٩)، والإمام أحمد فى المسند (٢/ ١٢٠).

(٢) أخرجه مسلم فى الحج (٤١٢)، والإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٢٥)، وابن ماجة فى المناسك (٢٨٨٤). قوله: «لو قلت نعم لوجبت) أى:=

ثواب الحج

- وعنه قال: سُئل النبى ﷺ، أىُّ العمل أفضلُ؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[1] متفق عليه. «المبرور: هو الذى لا يرتكب صاحبه فيه معصية».

- وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»[2]. متفق عليه.

- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[3] متفق عليه.

= لفرض عليكم الحج كل عام، قوله: «واختلافهم على أنبيائهم» أي: تقولهم عليهم مالم يقولوه، وتحريفهم ما قالوه.

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان (٢٦)، ومسلم فى الإيمان (١٣٥)، والبيهقى فى السنن (٥/٢٦٢).

(٢) أخرجه البخارى فى الحج (١٥٢١)، ومسلم فى الحج (٤٣٨) بنحوه. وقوله: «فلم يرفث» الرفث: التصريح بذكر الجماع. قال الأزهرى: هى كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، قوله: «ولم يفسق» الفسوق: المعصية.

(٣) أخرجه البخارى فى العمرة (١٧٧٣)، ومسلم فى الحج (٤٣٧)، ومالك فى الموطأ (٣٤٦)، والبيهقى فى السنن (٣/٣٤٣). قوله: «كفارة لا بينها» أي: أنهما مكفرتان لما بينهما من صغائر الذنوب بالله تعالي، قوله: «المبرور» هو الذى لا يخاالطه إثم.

- وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[1] رواه البخارى.

- وعنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة» [2] رواه مسلم.

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ، قال: «عمرة فى رمضان تعدل حجة» - أو «حجة معى»[3]. متفق عليه.

---

(١) أخرجه البخارى فى الحج (١٥٢٠)، والإمام أحمد فى المسند (٧١/٦)، وابن ماجة فى المناسك (٢٩٠١)، وابن خزيمة فى صحيحه (٣٠٧٤).

(٢) أخرجه مسلم فى الحج (٤٣٦)، وابن ماجة فى المناسك (٣٠١٤)، والنسائى (٣٠٠٣)، والدارقطنى فى سننه (٣٠١/٢).

(٣) أخرجه البخارى فى العمرة (١٧٨٢)، ومسلم فى الحج (٢٢٢)، والترمذى فى الحج (٩٣٩)، وأبو داود فى المناسك (١٩٨٨). قوله: «تعدل حجة» أي: فى الأجر فقط.

الحج المبرور

لكى يكون الحج مبروراً يلزم توافر أربعة أمور:

الأمر الأول: أن يكون خالصًا لله بأن لا يحمل الإنسان على الحج إلا ابتغاء رضوان الله والتقرب إليه سبحانه وتعالي، لا يريد رياءً ولا سمعة، ولا أن يقول الناس: فلان حج، وإنما يريد وجه الله.

الثانى: أن يكون الحج على صفة حج النبى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يعنى أن يتبع الإنسان فيه الرسول ﷺ ما استطاع.

الثالث: أن يكون من مال مباح، ليس حرامًا، بأن لا يكون ربًا، ولا من غشٍّ، ولا من ميسر، ولا غير ذلك من أنواع المفاسد المحرمة، بل يكون من مالٍ حلال ، ولهذا قال بعضهم.

إذا حجت بمال أصله سُحتٌ

فما حججت ولكن حجتْ العير

يعنى: الإبل حجت، أما أنت فما حججت، لماذا ؟! لأن مالك حرامًا.

الرابع: أن يجتنب فيه الرفث والفسوق والجدال، لقول الله تعالي: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فيجتنب الرفث وهو الجماع ودواعيه، ويجتنب الفسوق، سواء كان فى القول المحرم، الغيبة، النميمة، والكذب، أو الفعل، كالنظر إلى النساء، وما أشبه ذلك، لابد أن يكون قد تجنب فيه الرفث والفسوق، والجدال: المجادلة والمنازعة بين الناس فى الحج ، هذه تنقص الحج كثيراً.

اللهم إلا جدالاً يراد به إثبات الحق، وإبطال الباطل؛ فهذا واجب، فلو جاء إنسان مبتدع يجادل، والإنسان محرم؛ فإنه لا يتركه بل يجادله ويبين الحق، لأن الله أمر بذلك: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

لكن الجدال من غير داعٍ يتشاحنون أيهم يتقدم، أو عند رمى الجمرات أو عند المطار، أو ما أشبه ذلك، هذا كله مما ينقص الحج، فلابد من ترك الجدال، فالحج المبرور ليس له جزاءً إلا الجنة. «ومن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». أي: رجع من الذنوب نقيًا لا ذنوب عليه كيوم ولدته أمه»[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، المجلد الثانى، ص ١٤١٨، وما بعدها طبعة دار السلام.

حكم الحج من المال الحرام

من حج من مال حرام يأثم ولا يجزئ ولا يقبل حجه لما جاء فى الحديث الصحيح: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا». وروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إذا خرج الحاج حاجًا بنفقة طيبة[١]، ووضع رجله فى الغرز[٢] فناد: لبيك اللهم لبيك. ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك[٣] زادك حلال، وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور[٤]، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز، فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور[٥] غير مأجور»[٦].

---

(١) طيبة: حلال.

(٢) الغرز: ركاب من جلد يعتمد عليه الراكب حين يركب.

(٣) لبيك: أجاب الله حجكب إجابة بعد إجابة.

(٤) مبرر: مقبول، لا يخالطه وزر.

(٥) مأزور: جالب للوزر والإثم.

(٦) رواه الطبرانى فى الأسطو، ورواه الأصبهنى من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلاً مختصراً.

جواز الحج عن الغير

عن ابن عباس رضى الله عنه أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن فريضة الله على عباده فى الحج، أدركت أبى شيخًا كبيراً، لا يثبت على الراحلة، أفحج عنه؟ قال: «نعم».[1] متفق عليه.

وعن لقيط بن عامر رضى الله عنه أنه أتى النبى ﷺ فقال: إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج، ولا العمرة، ولا الظعن، قال: «حُجَّ عن أبيك واعتمر»[2]. رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون سبق له الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «لبيك شبرمة فقال: أحججت عن نفسك؟ قال: لا قال: فحج عن نفسك، ثم حجَّ عن شبرمة» (رواه أبو داود وابن ماجة).

---

(١) أخرجه البخارى فى الحج (١٥١٣)، ومسلم فى الحج (٤٠٧)، وأبود ادود فى الزكاة (١٦٥٦)، والترمذى فى الحج (٩٢٩).

(٢) أخرجه الترمذى فى الحج (٩٣٠)، أبو داود فى المناسك (١٨١٠)، وابن ماجة فى المناسك (٢٩٠٦)، والنسائى فى السنن (٢٦٤٣٧). قوله: «ولا الظعن» بفتحتين أو سكون الثانى؛ مصدر ظعن إذا سافر وفسر الظعن بالراحلة؛ أي: لا يقوى على السير ولا على الركوب من كبر السن.

فضل الوقوف بعرفة

روى الطبرانى فى الأوسط من حديث عبادة بن الصامت، وقال فيه: «فإنى لك من الأجر إذا أممت[١] البيت العتيق ألا ترفع قدمًا، أو تضعها أنت ودابتك إلا كتبت لك حسنة، ورفعت لك درجة، وأما وقوفك بعرفة[٢]، فإن الله عز وجل يقول لملائكته: يا ملائكتى ما جاء بعبادى؟ قالوا: جاءوا يلتمسون رضوانك والجنة، فيقول الله عز وجل: فإنى أشهد نفسى وخلقى أنى قد غفرت لهم، ولو كانت ذنوبهم عدد أيام الدهر[٣]، وعدد رمل عالج[٤]، وأما رميك الجمار، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٥]. وأما حلقك رأسك، فإنه ليس من شعرك شعرة تقع فى الأرض إلا كانت لك نورًا يوم القيامة[٦] وأما طوافك بالبيت:

(١) قصدت التوجه إلى أداء الحج أو العمرة.

(٢) تتوجه فى اليوم التاسع من ذى الحجة وتلبى وتذكر الله هناك فى هذا الفضاء الواسع فتشعر بالسرور وتظلك رحمة الله تعالى ورعايته.

(٣) الله تعالى يغفر ذنوب الواقفين بعرفة ولو كثرت.

(٤) ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض.

(٥) الآية ١٧ سورة السجدة، الله تعالى يمده بنعيم وخيرات لا عداد لها، ولا تقدير لحسنها جزاء أعمالهم الصالحة.

(٦) تكون له نبراسًا مضيئًا، يبعد عنه العذاب، يوقيه شر الأهوال والظلمات وتنجلى عنه الكروب.

إذا ودعت فإنك تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك»[١].

وروى الأصبهانى من حديث أنس بن مالك نحوه إلا أنه قال فيه: وأما وقوفك بعرفات، فإن الله تعالى يطلع على أهل عرفات فيقول: عباد أتونى شعثًا[٢] غبراً[٣] أتونى من كل فج عميق[٤]، فيباهى بهم الملائكة، فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج، ونجوم السماء وقطر البحر والمطر غفر الله لك، وأما رميك الجمار: فإنه مدخور لك عند ربك أحوج ما تكون إليه[٥]، وأما حلقك رأسك: فإن لك بكل شعرة تقع منك نوراً يوم القيامة، وأما طوافك بالبيت فإنك تصدر، وأنت من ذنوبك كهيئة يوم ولدتك أمك».

---

(١) تنقى صحيفك من كل ذنب.

(٢) غير معتنين بملابسهم وحلق شعورهم المتلبدة.

(٣) عليهم أثر الغبار، وبقايا التراب من عدم عنايتهم بإنفسهم، وميلهم إلى الترف،: أى جاءوا وقصدهم رضاى غير ملتفتين إلى ملذات أنفسهم، وأنواع الزينة والترف والبذخ. وفى النهاية فى حديث أويس: «أكون فى غير الناس أحب إلى». أى أكون مع المتأخرين لا المتقدمين المشهورين، وهو من الغابر: الباقى، وجاء فى رواية فى «غبراء الناس» أى فقرائهم ومنه قيل للمحاويج بنو غبراء كأنهم نسبوا إلى الأرض والتراب اهـ - .

(٤) من كل جهة.

(٥) يكثر حسنات هذا العمل عند الله عند الحاجة.

حكم من مات وهو ذاهب إلى الحج أو عائد

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من خرج حاجًا فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فمات كتب له أجر الغازى إلى يوم القيامة. رواه أبو يعلى من رواية محمد بن إسحاق، وبقية رواته ثقات.

- روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : من خرج فى هذا الوجه لحج أوعمرة، فمات فيه لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له: ادخل الجنة. قالت وقال رسول الله ﷺ يباهى بالطائفين. رواه الطبرانى وأبو يعلى ، والدارقطنى، والبيهقى.

- وروى عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام، فمن حج البيت، أو اعتمر فهو ضامن على الله، فإن مات أدخله الجنة، وإن رده إلى الله رده بأجر وغنيمة». رواه الطبرانى فى الأوسط.

[الدعامة] بكسر الدال: هى عمود البيت والخباء.

- روى عنه أيضًا رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات فى طريق مكة ذاهبًا، أو راجعًا لم يعرض ولم يحاسب، أو غفر له». رواه الأصبهانى.

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته فأقصعته، فقال رسول الله ﷺ : اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه بثوبيه، ولا تخمروا رأسه، ولا تحنطوه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا. رواه البخارى ومسلم ، وابن خزيمة.

وفى رواية لهم: أن رجلاً كان مع النبى ﷺ فوقصته ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا.

- وفى رواية لمسلم: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يغسلوه بماء وسدر وأن يكشفوا وجهه، حسبته. قال: ورأسه، فإنه يبعث وهو يهل.

[وقصته ناقته]: معناه: رمته ناقته فكسرت عنقه. [وكذلك فأقصعته].

هل يجوز تأخير الحج للمستطيع؟

ذهب الشافعي، والثوري، والأوزاعي، ومحمد بن الحسن إلى أن الحج واجب على التراخي، فيؤدى فى أى وقت من العمر، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل الوفاة، لأن رسول الله ﷺ أخر الحج إلى سنة عشرة، وكان معه أزواجه وكثير من أصحابه، مع أن إيجابه كان سنة ست فلو كان واجبًا على الفور لما أخره ﷺ.

قال الشافعي: فاستدللنا على أن الحج فرضه مرة فى العمر، أوله البلوغ، وآخره أن يأتى به قبل موته.

وذهب أبو حنيفة، ومالك، وأحمد، وبعض أصحاب الشافعي، وأبو يوسف إلى أن الحج واجب على الفور.

لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد الحج فليعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتكون الحاجة». رواه أحمد، والبيهقى، والطحاوى، وابن ماجة.

وعنه أنه ﷺ قال: «تعجلوا الحج - يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له» رواه أحمد، والبيهقى، وقال: ما يعرض له من مرض أو حاجة.

وحمل الأولون هذه الأحاديث على الندب، وأنه يستحب تعجيله والمبادرة به متى استطاع المكلف أداءه[1]

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق.

آراء الفقهاء فى حج المرأة بدون محرم

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، فقام رجل»، فقال: يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجَّة، وإنى اكتتبت فى غزوة كذ وكذا. فقال: «انطلق فحُجَّ مع امرأتك» رواه البخارى ، ومسلم، واللفظ لمسلم.

وهذا الأمر للندب وليس للوجوب بمعنى أنه لا يجب على الزوج ولا يلزمه أن يحج مع زوجته التى وجب عليها للأستطاعة.

وعن يحيى بن عباد قال: كتبت امرأة من أهل الرَّىِّ إلى إبراهيم النخعى: إنى لم أحج حجة الإسلام، وأنا موسرة، ليس لى ذو محرم، فكتب إليها: «إنك ممن لم يَجعل الله له سبيلاً».

ويرى كثير من أئمة الفقه أنه يجوز للمرأة السفر للحج بدون محرم أو زوج إذا كان معها رفقة مأمونة أو كان الطريق آمنًا كما هو الشأن الآن.

قال الحافظ: والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقاة، وفى قول: تكفى امرأة واحدة ثقة، وفى قول - نقله الكرابيسى وصححه فى المهذب - تسافر وحدها، إذا كان الطريق آمنًا.

وهذا كله فى الواجب من حج أو عمرة.

وفى «سبل السلام»: «وقال جماعة من الأئمة: يجوز للعجوز السفر من غير محرم».

وقد استدل المجيزون لسفر المرأة من غير محرم ولا زوج - إذا وجدت رفقة مأمونة، أو كان الطريق آمنًا - بما رواه البخارى عن عَدِىّ بن حاتم قال: «بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه فاقة، ثم أتاه رجل آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدى هل رأيت الحيرة؟[1]» قال: قلت لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترينّ الظعينة[2] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله».

واستدلوا أيضًا بأن نساء النبى ﷺ حججن بعد أن أذن لهنّ عمر فى آخر حجة حجها، وبعث معهنّ عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف.

وكان عثمان ينادى: ألا يدنو أحد منهن، ولا ينظر إليهن، وهنّ فى الهوادج على الإبل.

---

(١) الحيرة: قرية قريبة من الكوفة.

(٢) الظعينة: أى الهودج فيه امرأة أم لا.

وإذا خالفت المرأة وحجت، دون أن يكون معها زوج أو محرم، صح حجها.

وفى سبل السلام: قال ابن تيمية: «إنه يصح الحج من المرأة بغير محرم، ومن غير المستطيع».

استئذان المرأة زوجها

يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها فى الخروج إلى الحج الفرض، فإن أذن لها خرجت وإن لم يأذن لها خرجت بغير إذنه، لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة، لأنها عبادة وجبت عليها، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. ولها أن تعجل به لتبرئ ذمتها، كما لها أن تصلى أول الوقت، وليس له منعها، ويليق به الحج المنذور، لأنه واجب عليها كحجة الإسلام، وأما حج التطوع فله منعها منه.

لما رواه الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن رسول الله ﷺ - فى امرأة كان لها زوج ولها مال، فلا يأذن لها فى الحج - قال: «ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها».

حكم الأتجار للحاج

لا بأس للحجاج أن يتاجر، ويؤجر ويتكسب، وهو يؤدى أعمال الحج والعمرة.

قال ابن عباس: «إن الناس فى أول الحج[1] كانوا يتبايعون بمنى وعرفة، وسوق ذى المجاز، ومواسم الحج، فخافوا البيع وهم حُرُم.

فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فى مواسم حج» رواه البخارى، ومسلم، والنسائى.

وعن ابن عباس أيضًا، فى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾، قال: «كانوا لا يتجرون بمنى» فأمروا أن يتجروا إذا أفاضوا من «عرفات» رواه أبو داود.

وعن أبى أمامة التيمى: أنه قال لابن عمر: إنى رجل أكرى[3] فى هذا الوجه وإن ناسًا يقولون لى: إنه ليس لك حج.

---

(١) أى فى الإسلام.

(٢) أى أثم عليكم، وأن تبتغوا فضلاً من ربكم مع سفركم لتأدية ما اقترضه الله عليكم من الحج؛ فقال الإذن فى التجارة رخصة، والأفضل تركها.

(٣) أكرى: أى أؤجر الرواحل للركوب.

فقال ابن عمر: أليس تحرمُ وتُلبِّي، وتطوف بالبيت، وتفيض من عرفات، وترمي الجمار، قال: قلت: بلى، قال: فإن لك حجًا، جاء رجل إلى النبى ﷺ فسأله عن مثل ما سألتنى، فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فأرسل إليه وقرأ عليه هذه السورة. وقال: «لك حجٌ» رواه أبو داود، وسعيد بن منصور.

وقال الحافظ المنذرى أبو أمامه لا يعرف اسمه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رجلاً سأله فقال: أوجر نفسى من هؤلاء القوم فأنسكُ معهم المناسك، ألىَ أجرٌ؟ قال ابن عباس: نعم ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

رواه البيهقى، والدارقطنى[1].

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق.

من مات وعليه حج

من مات وعليه حجة الإسلام، أو حجة كان قد نذرها وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من ماله، كما أن عليه قضاء ديونه.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: إن أمى نذرت أن تحج، ولم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حُجّى عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء» رواه البخارى.

وفى الحديث دليل على وجوب الحج عن الميت، سواء أوصى أو لم يوص، لأن الدَّين يجب قضاؤه مطلقًا، وكذا سائر الحقوق المالية من كفارة، أو زكاة، أو نذر.

وإلى هذا ذهب ابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، والشافعى، ويجب إخراج الأجرة من رأس المال عندهم.

وظاهر أنه يقدم على دين الآدمى إذا كانت التركة لا تتسع للحج والدَّين، لقوله ﷺ: «فالله أحق بالوفاء».

وقال مالك: إنما يحج عنه إذا أوصى. أما إذا لم يوص فلا يحج عنه، لأن الحج عبادة غلب فيه جانب البدنية، فلا يقبل النيابة. وإذا أوصى حج من الثلث[1].

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق.

حجة رسول الله ﷺ

روى مسلم قال: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، وإسحق بن إبراهيم جميعًا، وعن حاتم، وقال أبو بكر: حدثنا حاتم بن إسماعيل المدنى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

«دخلنا على جابر بن عبد الله رضى الله عنه، فسأل عن القوم حتى انتهى إلىَّ؛ فقلت: أنا محمد بن على بن حسين، فأهْوى بيدىْ إلى رأسى، فنزَعَ زرّى[1] الأعلى، ثم نزع زرّى الأسفل، ثم وضع كفه بين ثديىَّ، وأنا يومئذٍ غلام شابّ، فقال: مرحبًا بك يا ابن أخى، سَلْ عما شئت؟ فسألته - وهو أعمى - وحضر وقت الصلاة، فقام فى نساجةٍ[2] ملتحفًا بها، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها، ورداؤه إلى جنبه على المِشجب[3].

فصلى بنا، فقلت: أخبرنى عن حجة رسول الله ﷺ، فقال بيده: فعقد تسعًا. فقال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين[4] لم

---

(١) الزِّر: القميص.

(٢) نساجة: ثوب كالطليسان.

(٣) مشجب: اسم لأعواد يوضع عليها الثياب ومتاع البدن «الشماعة».

(٤) مكث تسع سنين: أى بالمدينة.

يحج، ثم أذَّن فى الناس فى العاشرة: أن رسول الله ﷺ حاجّ فقدم المدينة بشرٌ كثير كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله.

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحُلَيفة، فولدت «أسماء» بنت عُمَيْس محمد بن أبى بكر، فأرسلتْ إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلى واستثفرى[1] بثوب وأحرمى».

فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب «القصواء»[2] حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مدِّ بصرى بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شىء عملنا به.

فأهلّ[3] بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وأهلَّ الناس بهذا الذى يهلونَ به، فلم يَرُدَّ رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته.

---

(١) الاستثفار: أن تشد فى وسطها شيئًا، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها فى ذلك المشدود فى وسطها لمنع سيلان الدم.

(٢) القصواء: اسم ناقة النبى ﷺ.

(٣) أهل: من الإهلال؛ وهو رفع الصوت بالتلبية.

قال جابر رضى الله عنه: لسنا ننوى إلا الحج. لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرَمَلَ ثلاثًا، ومشى أربعًا، ثم نفذَ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى﴾.

فجعل المقام بينه وبين البيت.

فكان يقرأ فى الركعتين: ﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل يا أيها الكافرون﴾. ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا.

فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ أبْدأ بما بدأ الله به، فبدأ، بالصَّفا، فَرقِيَ عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحَّد اللّه وكبره وقال:

«لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا اللّه وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1]؛ ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا صعدنا مشى، حتى إذا أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

---

(١) هزم الأحزاب وحده، معناه: هزمهم بغير قتال من الآدميين ولا بسبب من جهتهم. والمراد بالأحزاب: الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق.

حتى إذا كان آخرُ طوافه على المروة، فقال: «لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسُق الهدْىَ، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هَدْىٌ فليحلّ، وليجعلها عمرَة».

فقام سراقة بن مالك بن خثعم، فقال: يا رسول الله يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبدٍ؟ فشبك رسول ﷺ أصابعه، واحدة فى الأخرى وقال: «دخلت العمرة فى الحج مرتين، لا بل لأبدِ أبدٍ».

وقدم علىٌّ من اليمن ببُدنٍ للنبى ﷺ، فوجدنا فاطمة رضى الله عنها ممن حلَّ، ولبست ثيابًا صبيغًا، وأكتحلتْ، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إنى أبى أمر بهذا.

قال: فكان علىٌّ يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ مُحرّشًا[1] على فاطمة للذى صنعت، مستفتيًا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى أنكرتِ ذلك عليها. فقال: صدقتْ صدقتْ، ماذا قلت حين فرضت الحجَّ؟

قال: قلت: «اللهم إنى أهِلّ بما أهلَّ رسولك».

قال: فإن معى الهدْىَ فلا نحل.

---

(١) التحريش: الإغواء. والمراد هنا أن يذكر له ما يقضى عتابها.

قال: فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن؟ والذى أتى به النبى ﷺ، مائةَ.

قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا، إلا النبى ﷺ، ومن كان معه هدْىٌ.

فلما كان يوم التروية[1]، توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ، فصلى بها الظهر والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر.

ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبَّة من شعَرٍ تضرب له بنمرة.

فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريشٌ إلا أنه واقفٌ عند المشعر الحرام، كما كانت قريشٌ تصنع فى الجاهلية[2].

---

(١) يوم التروية: هو اليوم الثامن من ذى الحجة.

(٢) كانت قريش فى الجاهلية تقف بالمشعر الحرام، وهو جبل بالمزدلفة يقال له فرح. وقيل: إن المشعر الحرام كل المزدلفة، وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبى ﷺ يقف فى المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه، فتجاوزه النبى ﷺ إلى عرفات، لأن الله تعالى أمره بذلك فى قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أى سائر الناس والعرب، غير قريش وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله، فلا نخرج منه.

فأجاز[1] رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضُربت له بنَمِرَةَ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلَتَ[2] له. فأتى بطن الوادى[3] فخطب الناس، وقال:

«إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ابن ربيعة بن الحارث - كان مسترضعًا فى بنى سعد، فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع[4] وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح ولهن علكيم رزقهن وكسوتهنَّ بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصتم به: كتاب لله، وأنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون: قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة[5] يرفعها إلى السماء ينكسها إلى الناس، اللهم فأشهد، اللهم فأشهد ثلاث مرات.

---

(١) فأجاز: أى جاوز المزدلفة ولم يقف بها، بل توجه إلى عرفات.

(٢) فرحلت أى جعل عليها الرحل.

(٣) بطن الوادى: هو وادى عرفة.

(٤) موضوع: أى باطل.

(٥) فقال بإصبعه السبابة: أى يقلبها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم.

ثم أذّن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلّ بينهما شيئًا[1] ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة[2] بين يديه واستقبل القبلة.

فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس، وذهبت الصّفرة قليلاً حتى غاب القرص؛ وأردف أسامة خلفه.

ودفع رسول الله ﷺ، وقد شنق[3] للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورِكَ رحله[4] ويقول بيده اليمنى[5]: «أيها الناس، السكينة السكينة» كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبِّح بينهما شيئًا.

---

(١) فصل الظهر ثم قام فصلى العصر ولم يصل بينهما.. إلخ: فيه دليل على أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك فى ذلك اليوم، وقد أجمعت الأمة عليه، واختلفوا فى سببه. فقيل: بسبب النسك وهو مذهب الإمام أبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعى، وقال أكثر أصحاب الشافعى: هو بسبب السفر.

(٢) جبل المشاة: أى مجتمعهم.

(٣) شنق: أى ضم وضيق.

(٤) المورك: الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه، قدام واسطة الرحل، إذا مل من الركوب.

(٥) يقول بيده: أى يشير بها قائلا: إلزموا السكينة. وهى الرفق والطمأنينة.

ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة.

ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحدّه، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جداً.

فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا[1] فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظُعُن[2] يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر، ينظر، حتى أتى بطن مُحسِّر. فحرَّك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى[3] التى تخرج على الجمرة الكبرى؛ حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع

---

(١) وسيما: أى جميلاً.

(٢) الظعن: جمع ظعينة، وهى البعير الذى عليه امرأة، ثم سميت به المرأة مجازاً لملابسها البعير.

(٣) قوله ثم سلك الطريق الوسطى: فيه دليل على أن سلوك هذا الطريق فى الرجوع من عرفات سنة. وهو غير الطريق الذى ذهب به إلى عرفات، وكان قد ذهب إلى عرفات من طريق «ضب» ليخالف الطريق كما كان يفعل فى الخروج إلى العيدين فى مخالفته طريق الذهاب والإياب.

حصايات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادى[١].

ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بيده ثم أعطى عليًا فنحر ما غبر[٢] وأشركه فى هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة[٣] فجعلت فى قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها.

ثم ركب رسول الله ﷺ، فأفاض إلى البيت[٤] فصلى بمكة الظهر.

فأتى بن عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا[٥] بنى عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم[٦] لنزعْت معكم». فناولوه دَلواً فشرب منه.

---

(١) قوله، رمى من بطن الوادى: أى بحيث تكون «منى» و«عرفات» و«المزدلفة» عن يمينه و«مكة» عن يساره.

(٢) قوله فنحر ثلاثًا وستين إلخ: وفيه دليل من استحباب تكثير الهدى وكان هدى النبى ﷺ فى تلك السنة مئة بدنة، وغبر: أى بقى.

(٣) البضعة: أى قطعة اللحم.

(٤) فأفاض إلى البيت: أى طاف بالبيت طواف الإفاضة، ثم صلى الظهر.

(٥) انزعوا: أى استقوا بالدلاء وانتزعوها بالرشاء (الحبال).

(٦) قوله أن يغلبكم الناس على.. إلخ: معناه لولا خوفى أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه ويدفعونكم عن الاستقاء لأسقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء.

قال العلماء: واعلم أن هذا حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، قال القاضى عياض: قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه. وأكثروا، وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءاً كبيراً أخرج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا، وقال: ولو تقصى لزيد على هذا العدد قريب منه.

قالوا: وفيه دلالة على أن غسل الإحرام سُنة للنفساء والحائض ولغيرهما بالأولى. وعلى استثفار الحائض والنفساء وعلى صحة إحرامهما، وأن يكون الإحرام عقب صلاة فرض أو نفل، وأن يرفع المحرم صوته بالتلبية، ويستحب الاقتصار على تلبية النبى ﷺ، فإذا زاد فلا بأس، فقد زاد عمر: لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبًا منك ومرغوبًا إليك.

وأنه ينبغى للحاج القدوم أولاً إلى مكة ليطوف طواف القدوم وأن يستلم الركن - الحجر الأسود - قبل طوافه ويرمل فى الثلاثة الأشواط الأولى والرمَل أسرع المشى مع تقارب الخطا وهو الخبب وهذا الرمل يفعله ما عدا الركنين اليمانيين.

ثم يمشى أربعًا على عادته وأنه يأتى بعد تمام طوافه مقام إبراهيم ويتلوا: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلى﴾.

ثم يجعل المقام بينه وبين البيت ويُصلى ركعتين.

ويقرأ فيهما فى الأولى - بعد الفاتحة - سورة (الكافرون) وفى الثانية - بعد الفاتحة - سورة (الإخلاص).

ودل الحديث على أنه يشرع له الاستلام عند الخروج من المسجد كما فعله عند الدخول.

واتفق العلماء: على أن الاستلام سنة. وأنه يسعى بعد الطواف ويبدأ من الصفا ويرقى إلى أعلاه ويقف عليه مستقبل القبلة ويذكر الله تعالى بهذا الذكر ويدعو ثلاث مرات ويرمل فى بطن الوادى وهو الذى يقال له: «بين الميلين» وهو - أى الرمل - مشروع فى كل مرة من السبعة الأشواط. لا فى الثلاثة الأول كما فى طواف القدوم بالبيت، وأنه يرقى أيضًا على المروة كما رقى على الصفا ويذكر ويدعو. ويتمام ذلك تتم عمرته.

فإن حلق أو قصر صار حلالاً.

وهكذا فعل الصحابة الذين أمرهم ﷺ بفسخ الحج إلى العمرة.

وأما من كان قارنًا، فإنه لا يحلق ولا يقصِّر، ويبقى على إحرامه ثم فى يوم التروية - وهو الثامن من ذى الحجة - يحرم من أراد الحج ممن حلَّ من عمرته، ويذهب هو ومن كان قارنًا إلى

منى، والسُّنَّة أن يصلى بمنى الصلوات الخمس، وأن يبيت بها هذه الليلة - وهى ليلة التاسع من ذى الحجة.

ومن السُّنة كذلك أن لا يخرج يوم عرفة من منى إلا بعد طلوع الشمس، ولا يدخل «عرفات» إلا بعد زوال الشمس. وبعد صلاة الظهر والعصر جمعًا بـ«عرفات» فإنه ﷺ نزل بِنَمِرة وليست من عرفات.

ولم يدخل - ﷺ - الموقف إلا بعد الصلاتين.

ومن السُّنة أن يصلى بينهما شيئًا، وأن يخطب الإمام الناس قبل الصلاة، وهذه إحدى الخطب المسنونة فى الحج.

والثانية - أى من الخطب المسنونة - يوم السابع من ذى الحجة عند الكعبة بعد صلاة الظهر.

والثالثة - أى من الخطب المسنونة - يوم النحر.

والرابعة: يوم النَّفر الأول.

وفى الحديث سنن وآداب منها:

أن يجعل الذهاب إلى الموقف عند فراغه من الصلاتين.

وأن يقف - فى عرفات - راكبًا أفضل.

أركان الحج ستة

والمراد بالركن: ما لا يتم الحج أو العمرة إلا به، ولا يجبر تركه بشيء.

أولا: الإحرام: وهو نية الدخول فى الحج، ويشترط فيه أن يقع فى أشهر الحج، وهى من شوال إلى فجر يوم النحر وهى: (الميقات الزمانى للحج).

ثانيًا: الوقوف بعرفة: أى المكث بها، ويشترط فيه أن يكون فى لحظة من زوال اليوم التاسع من ذى الحجة إلى فجر اليوم العاشر منه، وأن يكون الواقف أهلاً للعبادة فلا يجزىء من مجنون، أو مغمى عليه، أو سكران.

ثالثًا: طواف الإفاضة، ويشترط فيه أن يبدأ بالحجر الأسود، وأن يجعل البيت عن يساره، وأن يمر تلقاء وجهه، وأن يكون داخل المسجد، وأن يكون طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر والبدن والثوب والمكان من النجاسة، وأن يستر عورته، وأن يكون بعد الوقوف بعرفة وأن يطوف سبع طوفات، وأن يجعل جميع بدنه خارجًا عن جميع البيت، فلو طاف ويده على حائط حجر إسماعيل أو على الشاذروان الذى فى جدات البيت. أو دخل من إحدى فتحتى الحجر لم يصح طوافه، ويشترط فى الطواف أيضًا

النيـة إن كـان مـسـتـقـلا بأن لم يكن فى ضـمن نسك من حج أو عمرة.

تنبيه: من قبل الحجر الأسود أو استلم الركن اليـمانى يكون جزء بدنه فى هواء الشاذروان فيلزمه أن يقر قدميه فى محلهما حال التقبيل أو الاستلام حتى يفرغ منهما، ويعتدل قائمًا ثم يجعل البيت عن يساره ثم يسير.

رابعًا: السعى بين الصفا والمروة، ويشترط فيه أن يكون بعد طواف قدوم أو إفاضة، وأن يبدأ بالصفا وهو طرف جبل أبى قبيس ويختم بالمروة، وهو طرف جبل قينقاع بمكة، ومقدار ما بين الصفا والمروة سبعمائة وسبعة وسبعون ذراعًا بذراع اليد، وأن يكون سبع مرات ويحسب الذهاب مرة والعود مرة أخرى.

خامسًا: إزالة الشعر بأن يزيل ثلاث شعرات من رأسه بحلق أو غيره بشرط أن يكون بعد الوقوف بعرفة وبعد النصف من ليلة النحر.

سادسًا: ترتيب معظم الأركان بأن يقدم النية على جميع الأركان، و يقدم الوقوف بعرفة على إزالة الشعر، وأما أركان العمرة فكأركان الحج ما عدا الوقوف، ولكن يجب الترتيب فى جميع أركانها بأن يأتى بالإحرام أولا، ثم بالطواف، ثم بالسعى، الحلق أو التقصير.

واجبات الحج

واجبات الحج خمسة، والمراد بالواجب: ما يتم النسك بدونه، ويجب بتركه الفدية.

أولاً: كون الإحرام من الميقات المكانى، وأما الإحرام نفسه فركن. والميقات نوعان: زمانى ومكانى فالزمانى للحج ما تقدم ذكره فى أركانه، وللعمرة جميع السنة، والمكانى للحج فى حق من بمكة، ولو غريبًا نفس مكة، وللمتوجه من المدينة المنورة (ذو الحليفة) وهو المحل المعروف بأبيار على، ولأهل مصر والشام والمغرب (الجحفة) وهى المشهورة الآن برابغ، وإنما تكون الجحفة ميقاتًا لأهل الشام حيث لم يمروا على المدينة فإن مروا عليها كما هى عادتهم الآن فميقاتهم ميقات أهلها، وللمتوجه من تهامة اليمن (يلملم) وهو موضع على مرحلتين من مكة، وللمتوجه من نجد اليمن ونجد الحجاز (قرن) وهو جبل على مرحلتين من مكة، وللمتوجه من المشرق الشامل للعراق وغيره (ذات عرق) وهى قرية على مرحلتين من مكة، ومن مر بميقات من هذه المواقيت من غير أهلها فهو ميقاته، ومن كان مسكنه بين ميقات من هذه المواقيت فميقاته مسكنه، ومن لم يكن فى طريقه ميقات. فإن حاذى فى سيره ميقاتًا فميقاته الموضع الذى حاذى فيه الميقات،

وإن حاذى ميقاتين فميقاته موضع محاذاة الأقرب إليه منهما، وإن لم يحاذ فى طريقه ميقاتًا أصلاً فميقاته الموضع الذى بينه وبين مكة مرحلتان، والمكانى للعمرة لمن كان خارج الحرم - ميقات الحج) ولمن بالحرم أدنى الحل فيلزمه الخروج له والإحرام بها منه.

ثانيًا: المبيت بالمزدلفة بأن يستقر فيها بعد نصف ليلة النحر، ولو ساعة يسيرة.

ثالثًا: المبيت بمنى ليالى أيام التشريق.

رابعًا: رمى الجمار الثلاث.

خامسًا: اجتناب محرمات الإحرام.

وأما واجبات العمرة، فكون الإحرام من الميقات المكانى، والتحرز عن محرمات الإحرام.

محظورات الإحرام

يحرم على المحرم أن يفعل هذه الأشياء:

١ - لبس المخيط للرجل مما يعتاد لبسه.

٢ - ستر الرأس أو بعضه لرجل بما يسمى ساتراً سواء كان من مخيط أو غيره كقلنسوة أو خرقة أو عصابة ويجوز له الاستظلال بمظلة، وتغطية رأسه بكفيه أو بكف غيره.

٣ - لبس النقاب والقفازين للمرأة.

٤ - عقد النكاح لنفسه أو لغيره بولاية أو وكالة ويبطل هذا العقد.

٥ - تقليم الأظافر.

٦ - قص الشعر أو حلقه إلا إذا كان فى عدم حلقه أو تقصيره أذى فيجوز له مع الفدية.

٧ - التطيب فى الثوب والبدن للرجل والمرأة.

٨ - لبس الثياب المصبوغة بشئ له رائحة طيبة.

١٠- التعرض للصيد يحرم عليه صيد البر بالقتل أو الذبح أو ترويعه وإفساد بيضه وبيع الصيد أو شرائه.

١١- الأكل من الصيد: يحرم على المحرم الأكل من صيد البر إذا صيد من أجله أو دل الصائد عليه.

١٢- الجماع ومقدماته ولمس المرأة بشهوة، وحديث الرجل للمرأة فى أمور المعاشرة الجنسية.

١٣- ارتكاب المعاصى.

١٤- المشاحنة والمخاصمة مع الرفقاء وغيرهم.

حكم من ارتكب محظور من محظورات الإحرام:

من كان له عذر واحتاج إلى ارتكاب محظور من محظورات الإحرام لضرورة كحلق الشعر لمرض ونحوه ولبس المخيط اتقاء برد شديد أو حر فعليه إطعام ستة مساكين أو صوم ثلاثة أيام ولا يبطل الحج بارتكاب شيء عدا الجماع فإنه يبطل الحج.

آداب الإحرام

للإحرام آداب ينبغي مراعاتها، نذكرها فيما يلي:

١ - النظافة: وتتحقق بتقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء، أو الاغتسال، وهو أفضل، وتسريح اللحية، وشعر الرأس.

قال ابن عمر رضى اللّه عنهما: «من السنة أن يغتسل[١] إذا أراد الإحرام، وإذا أراد دخول مكة» رواه البزار والدارقطنى والحاكم وصححه.

وعن ابن عباس رضى اللّه عنهما: أن النبى ﷺ قال: «إن النفساء والحائض تغتسل[٢] وتُحرمُ، وتقضى المناسك كلها، غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى وحسنه.

٢ - التجرد: من الثياب المخيطة ولبس ثوبَى الإحرام، وهما

---

(١) أى يغتسل بنية غسل الإحرام.

(٢) قال الخطابى: فى أمره عليه الصلاة والسلام، الحائض والنفساء بالاغتسال، دليل على أن الطاهر أولى بذلك.
وفيه دليل على أن المحدث إذا أحرم، أجزأه إحرامه.

رداء يلف النصف الأعلى من البدن، دون الرأس، وإزارٌ يَلف به النصف الأسفل منه.

وينبغى أن يكونا أبيضين، فإن الأبيض أحب الثياب إلى الله تعالى.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: انطلق رسول الله ﷺ من بعد ما ترجَّل، وادَّهن، ولبس إزاره ورداءه، هو وأصحابه. الحديث رواه البخارى.

٣ - التطيب: فى البدن والثياب، وإن بقى أثره عليه بعد الإحرام[١].

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كأنى أنظر إلى وبيض[٢] الطيب فى مفرِق رسول الله ﷺ وهو محرم» رواه البخارى ومسلم.

وروى عنها أنها قالت: كنتُ أطيبُ رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يُحرِمَ، ولحِله[٣] قبل أن يطوف بالبيت.

---

(١) كرهه بعض العلماء، والحديث حجة عليهم.

(٢) وبيض: أى بريق.

(٣) المراد بالإحلال، بعد الرمى: الذى يحل به الطيب وغيره ولا يمنع بعده إلا من النساء كما سيأتى.

وقالت: «كنا نخرج مع رسول الله ﷺ إلى مكة، فننضحُ جباهَنا بالمسك عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا، سال على وجهها فيراه النبى ﷺ فلا ينهانا» رواه أبو داود.

٤ - صلاة ركعتين: ينوى بهما سنة الإحرام، يقرأ فى الأولى منهما بعد الفاتحة سورة «الكافرون»، وفى الثانية سورة «الإخلاص».

قال ابن عمر رضى الله عنهما: كان النبى ﷺ يركع بذى الحليفة[1] ركعتين. رواه مسلم.

وتجزئ المكتوبة عنهما، كما أن المكتوبة تغنى عن تحية المسجد.

أنواع الإحرام

الإحرام أنواع ثلاثة:

١ - قران. ٢ - تمتع. ٣ - إفراد.

وقد أجمع العلماء: على جواز كل واحد من هذه الأنواع الثلاثة.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ

(١) ذو الحليفة: أى المكان الذى أحرم منه النبى ﷺ.

عام حجة الوداع. فمنا من أهلَّ بعمرة، ومنا من أهلّ بحج وعمرة، ومنا من أهلّ بالحج، وأهلّ رسول الله ﷺ بالحج.

فأما من أهلّ بعمرة، فحلَّ عند قدومه، وأما من أهلّ بحج، أو جمع بين الحج والعمرة، فلم يحَلّ، حتى كان يوم النحر، رواه أحمد والبخارى ومسلم ومالك.

معنى القِران[1]:

أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معًا. ويقول عند التلبية: «لبيك بحج وعمرة».

وهذا يقتضى بقاء المحرم على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال العمرة والحج جميعًا.

أو يحرم بالعمرة، ويدخل عليها الحجّ قبل الطواف[2].

معنى التمتع:

والتمتع: هو الاعتمار فى أشهر الحج، ثم يحُجّ من عامه الذى اعتمر فيه.

وسمى تمتعًا، للانتفاع بأداء النسكين فى أشهر الحج، فى عام واحد، من غير أن يرجع إلى بلده.

---

(١) سمى بذلك، لما فيه من القران والجمع بين الحج والعمرة، بإحرام واحد.

(٢) يطلق على هذا لفظ: «تمتع»، فى الكتاب والسنة.

ولأن المتمتع يتمتع بعد التحلل من إحرامه بما يتمتع به غير المحرم من لبث الثياب والطيب وغير ذلك.

وصفة التمتع أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها، ويقول عند التلبية: «لبيك بعمرة».

وهذا يقتضى البقاء على صفة الإحرام حتى يصل الحاج إلى مكة، فيطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، ويحلق شعره أو يقصره، ويتحلل فيخلع ثياب الإحرام ويلبس ثيابه المعتادة ويأتى كل ما كان قد حرم عليه بالإحرام، إلى أن يجىء يوم التروية، فيحرم من مكة بالحج.

معنى الإفراد:

والإفراد أن يحرِمَ من يريد الحج من الميقات بالحج وحده، ويقول فى التلبية: «لبيك بحج» ويبقى محرمًا حتى تنتهى أعمال الحج، ثم يعتمر بعدُ إن شاء.

أى أنواع النسك أفضل ؟

اختلف الفقهاء فى الأفضل من هذه الأنواع[1].

فذهب الشافعية إلى أن الإفراد والتمتع أفضل من القران، إذ أن المفرد. أو المتمتع يأتى بكل واحد من النسكين بكمال أفعاله.

والقارن يقتصر على عمل الحج وحده.

وقالوا - فى التمتع والإفراد - قولان: أحدهما أن التمتع أفضل، والثانى أن الإفراد أفضل.

وقالت الحنفية: القران أفضل من التمتع، والإفراد والتمتع أفضل من الإفراد.

وذهبت المالكية إلى أن الإفراد أفضل من التمتع والقران.

وذهبت الحنابلة إلى أن التمتع أفضل من القران، ومن الإفراد.

وهذا هو الأقرب إلى اليُسْر، والأسهل على الناس[2].

---

(١) هذا الاختلاف مبنى على اختلافهم فى حج رسول الله ﷺ. والصحيح أنه كان قارنًا لأنه كان قد ساق الهدى.

(٢) لا سيما نحن - المصريين - وأمثالنا ممن لا يسوق معه هديًا، فإن ساق الهدى كان القران أفضل.

وهو الذى تمناه رسول الله ﷺ لنفسه وأمر به أصحابه.

روى مسلم عن عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: أهللنا - أصحاب محمد - ﷺ بالحج خالصًا وحده، فقدم النبى ﷺ صبح رابعةٍ مضت من ذى الحجة فأمرنا أن نحل. قال: حلّوا وأصيبوا النساء، ولم يعزم عليهم[1]، ولكن أحلهن لهم.

فقلنا: لما لم يكن بينا وبين عرفة إلا خمس أمرنا نُفضى إلى نسائنا، فنأتى عرفة، تقطر مذاكيرُنا المنىَّ.

فقام النبى ﷺ فينا، فقال: قد علمتم أنى أتقاكم لله، وأصدقكم، وأبركم، ولولا هديى لحللت كما تحلون، ولو استقبلت من أمرى ما استبدرتُ لم أسق الهدىَ، فحلوا فحللنا، وسمعنا، وأطعنا.

---

(١) لم يعزم عليهم: أى لم يوجبه.

معًا إلى الرحلة المقدسة

بعد أن بينا الأحكام الفقهية لمناسك الحج وكيف حج الرسول ﷺ.

لنبدأ الرحلة المباركة عمليًا بقلوب عامرة بالإيمان خاشعة للواحد الديان يود الواحد أن يبلغ البيت قبل يرتد إليه طرفه طمعًا فى رحمة اللّه وما أعده اللّه من ثواب وأجر على قدر المشقة فى هذه الرحلة المقدسة وما يناله المرء من متعة وهو ذاهب إلى البقاع الطاهرة امتثالاً للّه رب العالمين واستجابة لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام واقتداء بسنة إمام الأنبياء والمرسلين محمد رحمة اللّه للعالمين ﷺ وعلى آله الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين وصحابته الغر الميامين مصابيح الهدى للسائرين.

أخى الحاج قبل أن تشد الرحال لا تنسيك الأشواق أن تصلى ركعتين فى دارك قبل الرحيل وتدعوا بما يتيسر لك عن المطعم بن المقدام رضى اللّه عنه: أن رسول اللّه ﷺ قال: «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا»(١).

كما يستحب أن تتخذ لك صحبة ورفقه.

---

(١) رواه الطبرانى وابن عساكر وسنده معضل أو مرسل.

فلقد روى أحمد عن ابن عمر أن النبى ﷺ نهى عن الوحدة يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده.

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبى ﷺ قال: «الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب».

ولا تنسى أيها الحاج أن تودع أهلك وتدعو لهم ولمن حضر من الأهل والأصدقاء بدعاء الرسول ﷺ: «أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه»(١).

ويدعو بعدها بما تيسر ثم إذا ركب قال: الله أكبر ثلاثًا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال.

وإذا كان السفر فى البحر قال حين يركب السفينة «باسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم» وما قدروا اللهّ حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» وذلك لما روى عن رسول الله ﷺ: «أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا....» ما تقدم.

---

(١) رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة.

وإذا اقترب من بلد يريد دخولها يقول حين يراها: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها» فإذا نزل قال: «أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق».

وعند الوصول إلى الميقات المكانى لموطنك أو ما يحازيه إن كنت فى البحر أو الجو تهيأ للإحرام وتجرد من المحيط والمخيط واغتسل وتطيب والبس ثوبين أبيضين ثم تصلى ركعتين وتحرم، والأحسن أن يتمهل حتى يركب وتنبعث به راحلته فيتلفظ بالنية قائلا: لبيك عمرة أو لبيك حجة وعمرة، أو لبيك حجة، وذلك هو التمتع والقران والإفراد على الترتيب، والأفضل الاقتصار على تلبية الرسول وهى: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

ويستحب أن تجدد هذه التلبية عند تغير الأحوال من إقبال ليل أو إدبار نهار، أو صعود شرف أو هبوط واد، أو ملاقاة رفاق أو ركوب أو نزول وما إلى ذلك ويحسن التوسط فى رفع الصوت لئلا يبح حلقه ولأن الله سميع وليس بغائب، وبالإحرام حرم عليه استعمال المحيط والمخيط - وللمرأة أن تستتر ما شاءت - كما

يحرم الطيب كيفما كان استعماله بدنًا ولباسًا وفرشا وأكلا، ولا يجوز له أن يحلق الشعر ولا أن يقلم الأظافر، ولا أن يعقد نكاحًا لنفسه ولا لغيره، ولا أن يقارف مقدمات الجماع، ولا أن يباشر زوجته، وكل ما عدا الجماع يمكن تلافيه بالفدية أما الجماع فيفسد الحج زيادة على وجوب الفدية - ولا بأس بالظلة من الشمس، والمنطقة لحفظ النفقة سواء على الجلد أو فوق الإزار - وعليه أن يتجنب كل ذلك، ولا يزال كذلك حتى يرمى جمرة العقبة فإذا فعل اثنين من ثلاث: رمى وحلق وطواف أبيح له كل شيء إلا النساء فإذا فعل الثالث أبيح له حتى النساء.

وبذلك نكون قد فعلنا الركن الأول من أركان الحج.

وعند دخول مكة:

ويسن له أن يغتسل ببئر ذى طوى، وهى معروفة بجرول من أحياء مكة إلا أن ذلك لا يتيسر للحاج ويمكنه أن يغتسل لدخول مكة من جدة أو من مسكنه بعد أن يصل وقبل أن يذهب للطواف، وليكن دخوله لمكة من مدخل رسول اللّه صلوات اللّه وهو جهة الأبطح «وهى الجهة التى تلى باب السلام من الحرم، ومن باب السلام فليكن دخوله إلى الحرم وليقل عند دخوله بسم اللّه والصلاة والسلام على رسول اللّه، أعوذ باللّه العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم افتح

لى أبواب رحمتك وساعتئذ يقطع التلبية فإذا انتهى إلى الكعبة قصد الحجر الأسودفلمسه بيده اليمنى وقبله قائلا بسم اللّه، اللّه أكبر.

ثم ابتدأ الطواف:

جاعلاً البيت عن يسارك مضطبعًا أى واضعًا وسط ردائك تحت إبطه الأيمن وقاذفًا بأطرافه على عاتقه الأيسر وتكون على طهارة وتقول فى مبدأ طوافه اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ وتكثر من الذكر والدعاء فى طوافك وليس عليك أن تلتزم دعاءً خاصًا، والعلماء يفضلون المأثور على غيره ومما أختاره الإمام الغزالى رحمه اللّه أن يقول ما تقدم بين الحجر والباب وأن تقول:

عند الباب: اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار - وتنظر إلى مقام إبراهيم - اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم أنت أرحم الراحمين فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم، وحرم لحمى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة..

وعند الركن العراقى: اللهم أنى أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد.

وعند الميزاب: اللهم أظللنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم اسقنى بكأس محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبدا.

وعند الركن الشامى: اللهم اجعله حجًا مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنبًا مغفوراً وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم.

وعند الركن اليمانى: يستلم الركن - إن أمكن - أو يشير إليه ويقول: اللهم أنى أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة. ويقول بين الركن والحجر. ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فإذا بلغت الحجر الأسود تقول:

اللهم اغفر لى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعذاب النار. وبذلك اكتمل الشوط الأول، وعليك أن تطوف سبعًا بهذه الطريقة وأن ترمل - الرمل الإسراع مع تقارب الخطا - فى ثلاثة الأشواط الأول، وهو على القادم دون غيره.

وعليك أن تتجنب ملامسة جدار البيت والشاذروان والحَجَر، فإذا أكملت طوافك فاذهب إلى مقام إبراهيم فصلى ركعتين تقرأ

فيها مع أم الكتاب (بالكافرون) والإخلاص، وتدعو بما تشاء ثم استلم الحَجَر الأسود إن أمكن وتخرج.

وإلى هنا نتوقف لحظات لنبين فضل الطواف وأنواعه وشروطه وسننه وماء زمزم وذلك قبل السعى.

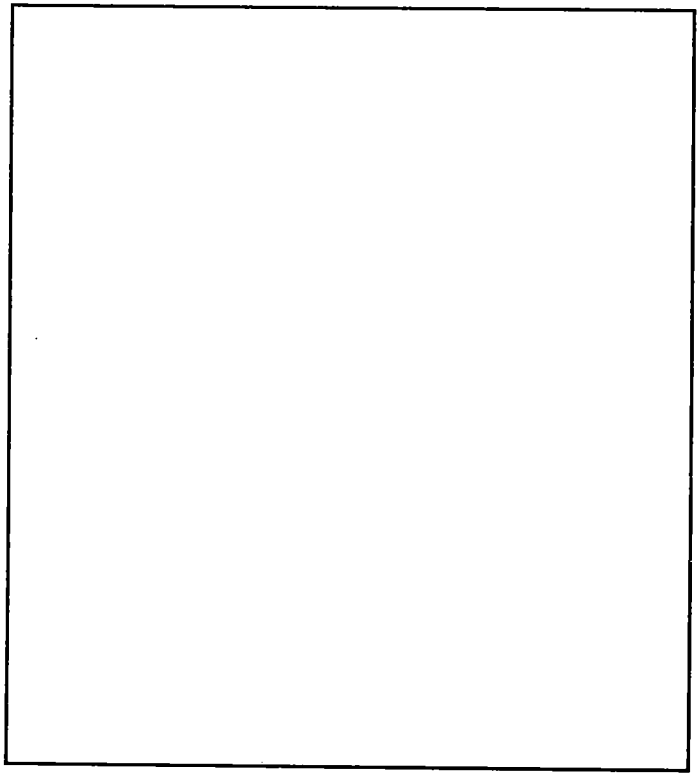

فضل الطواف

روى البيهقى - بإسناد حسن - عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ قال: «ينزِّل الله كل يوم على حُجَّاج بيته الحرام: عشرين ومائة رحمة: ستين للطائفين وأربعين للمُصلين، وعشرين للناظرين».

ثم إن كان الطائف مفرداً سمى هذا الطواف طواف القدوم، وطواف التحية، وطواف الدخول. وهو ليس بركن، ولا واجب.

وإن كان قارنًا، أو مُتمتِّعا، كان هذا الطواف هو طواف العُمْرَة. ويجزئ عن طواف التحية والقدوم. وعليه أن يمضى فى استكمال عمرته. فيسعى بين الصفا والمروة.

أنواع الطواف

١ - طواف القدوم.
٢ - طواف الإفاضة.
٣ - طواف الوداع.
٤ - طواف التطوع.

وينبغى للحاج أن يغتنم فرصة وجوده بمكة ويكثر من طواف التطوع، والصلاة فى المسجد الحرام.

فإن الصلاة فيه خير من مائة ألف، فيما سواه من المساجد.

وليس فى طواف التطوّع رملٌ ولا اضطباع.

والسنة أن يحيى المسجد الحرام بالطواف حوله، كلما دخله.

بخلاف المساجد الأخرى، فإن تحيتها الصلاة فيها.

هذا وللطواف شروط وسنن وآداب نذكرها فيما يلى:

قراءة القرآن للطائف

لا بأس بقراءة القرآن أثناء طوافه. لأن الطواف إنما شرع من أجل ذكر اللّه تعالى. والقرآن ذكر.

فعن عائشة رضى اللّه عنها: أن رسول اللّه ﷺ قال: «إنما جُعِل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة ورَمْى الجمار، لإقامة ذكر اللّه عز وجل» رواه أبو داود والترمذى. وقال: حسن صحيح.

شروط الطواف

يشترط للطواف الشروط الآتية:

١ - **الطهارة** من الحدث الأصغر والأكبر والنجاسة[١] لما رواه ابن عباس رضى اللّه عنهما: أن النبى ﷺ قال: «الطواف صلاة.. إلا أن الله تعالى أحلَّ فيه الكلام، فمن تكلم لا يتكلم إلا بخير».

رواه الترمذى والدارقطنى وصححه الحاكم وابن خزيمة وابن السَّكن.

وعن عائشة رضى اللّه عنها: أن رسول اللّه ﷺ دخل عليها وهى تبكى، فقال: «أنفست»[٢]؟ - يعنى الحيضة - قالت: نعم، قال: «إن هذا شىء كتبه الله على بنات آدم، فاقضى ما يقضى الحاج، غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تغتسلى» رواه مسلم.

وعنها قالت: «إن أول شىء بدأ به النبى ﷺ - حين قدم مكة- أنه

---

(١) يرى الحنفية أن الطهارة من الحدث ليست شرطًا وإنما واجب يجبر بالدم. فلو كان محدثًا حدثًا أصغر وطاف صح طوافه ولزمه شاة.. وإن طاف جنبًا أو حائضًا، صح ولزمه بدنة، ويعيده ما دام بمكة. وإنما الطهار من النجاسة فى الثياب أو البدن، فهى سنة عندهم فقط.

(٢) أنفست: أى حاضت.

توضأ ثم طاف بالبيت، رواه الشيخان.

ومن كان به نجاسة، لا يمكن إزالتها، كمن به سلس بول وكالمستحاضة التى لا يرقأ دمها، فإنه يطوف ولا شىء عليه، باتفاق.

روى مالك: أن عبد الله بن عمر جائته امرأة تستفيه، فقالت: إنى أقبلت أريد أن أطوف بالبيت، حتى إذا كنت عند باب المسجد هرقت الدماء، فرجعت، حتى ذهب ذلك عنى، ثم أقبلت، حتى إذا كنت عند باب المسجد هرقت الدماء، فرجعت، حتى ذهب ذلك عنى، ثم أقبلت حتى إذا كنت عند باب المسجد هرقت الدماء.

فقال عبد الله بن عمر: إنما ذلك ركضة من الشيطان، فاغتسلى، ثم استثفرى بثوب، ثم طوفى.

٢ - **ستر العورة:** لحديث أبى هريرة قال: بعثنى أبو بكر الصديق فى الحجة التى أمَّرهُ عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع، فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» رواه الشيخان.

٣ - **أن يكون سبعة أشواط كاملة.**

فلو ترك خطوة واحدة، فى أى شوط، لا يحسب طوافه.

فإن شك بنى على الأقل حتى يتيقن السبع. وإن شك بعد الفراغ من الطواف فلا يلزمه شيء.

٤ - **أن يبدأ الطواف من الحجر الأسود**، وينتهي إليه.

٥ - **أن يكون البيت عن يسار الطائف.** فلو طاف، وكان البيت عن يمينه، لا يصح الطواف.

لقول جابر رضي الله عنه: لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى الحجر الأسود فاستلمه، ثم مشى عن يمينه فرمل[١] ثلاثًا ومشى أربعًا[٢]. رواه مسلم.

٦ - **أن يكون الطواف خارج البيت.** فلو طاف في الحِجْر لا يصح طوافه، فإن الحجر[٣]، والشَّاذِروان[٤] من البيت.

والله أمر بالطواف بالبيت، لا في البيت، فقال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

ويُستحب القرْبُ من البيت، إن تيسَّرَ.

---

(١) الرمل: الإسراع مع هز الكتفين.

(٢) عند الأحناف أن ركن الطواف أربعة أشواط، والثلاثة الباقية واجب يجبر بالدم.

(٣) الحجر: هو حجر إسماعيل، ويقع شمال الكعبة، يحوطه سور على شكل نصف دائرة، وليس الحجر كله من البيت، بل الجزء الذي هو من البيت قدره ستة أذرع: نحو ثلاثة أمتار.

(٤) الشاذروان: البناء الملاصق لأساس الكعبة الذي توضع به حلق الكسوة.

٧ - **موالاة الطواف:** عند مالك وأحمد.

ولا يضر التفريق اليسير، لغير عذر، ولا التفريق الكثير، لعذر.

وذهبت الحنفية، والشافعية: إلى أن الموالاة سنة.

فلو فرَّق بين أجزاء الطواف تفريقًا كثيراً، بغير عذر، لا يبطل، ويبنى على ما مضى من طوافه.

روى سعيد بن منصور، عن حميد بن زيد قال: رأيت عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما. طاف بالبيت ثلاثة أطواف أو أربعة، ثم جلس يستريح، وغلام له يروح عليه، فقام فبنى على ما مَضى طوافه.

وعند الشافعية والحنفية: لو أحدث فى الطواف، توضأ وبنى ولا يجب الاستئناف، وإن طال الفصل.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه كان يطوف بالبيت، فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم، ثم قام، فيبنى على ما مضى من طوافه.

وعن عطاء: أنه كان يقول - فى الرجل يطوف بعض طوافه، ثم تحضر الجنازة - قال: يخرج يصلى عليها، ثم يرجع فيقضى ما بقى من طوافه.

سنن الطواف

للطواف سنن نذكرها فيما يلى:

١ - استقبال الحجر الأسود: عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل، ورفع اليدين: كرفعهما فى الصلاة، واستلامه بها بوضعهما عليه، وتقبيله بدون صوت، ووضع الخد عليه، إن أمكن ذلك، وإلا مسه بيده وقبلها أو مسه بشىء معه وقبله، أو إشار إليه بعضًا ونحوها.

وقد جاء فى ذلك أحاديث، وإليك بعضها:

قال ابن عمر رضى اللّه عنهما: استقبل رسول اللّه ﷺ الحجر واستلمه، ثم وضع شفتيه يبكى طويلاً، فإذا عمر يبكى طويلاً، فقال: يا عمر، هنا تسكب العبرات[١]، رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وعن ابن عباس أن عمر أكبَّ على الركن[٢] فقال: إنى لأعلم أنك حجر، ولو لم أر حبيبى ﷺ قبلك واستلمك ما استلمتك وإلا

---

(١) العبرات: أى الدموع.

(٢) الركن: المراد به هنا الحجر الأسود.

قبلتك: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» رواه أحمد، وغيره، بألفاظ مختلفة متقاربة.

وقال نافع: رأيت ابن عمر رضى الله عنهما استلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله، رواه البخارى ومسلم.

وقال سويد بن غفلة: رأيت عمر رضى الله عنه قبَّل الحجر، والتزمه. وقال: «رأيت رسول الله ﷺ بك حفيًا»[1] رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ كان يأتى البيت، فيستلم الحجر ويقول: «بسم الله والله أكبر» رواه أحمد.

وروى مسلم عن أبى الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويستلم بمحجن معه ويقبل المحجن[2].

وروى البخارى، ومسلم، وأبو داود عن عمر رضى الله عنه: أنه جاء إلى الحجر فقبَّله. فقال: إنى أعلم أنك حجرٌ لا تضُر، ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتكَ.

قال الخطابى: فيه من العلم، أن متابعَة السنن واجبة وإن لم يوقف لها على عِلل معلومة، وأسباب معقولة.

---

(١) حفيًا: مهتمًا ومعنيًا.

(٢) المحجن: عصا معقودة من رأسها.

وأن أعيانها حجة على من بلغته، وإن لم يفقه معانيها.

إلا أنه معلوم فى الجملة، أن تقبيله الحجر، إنما هو إكرام له، وإعظام لحقه، وتبرك به.

وقد فضل اللّه بعض الأحجار على بعض، كما فضل بعض البقاع والبلدان، وكما فضل بعض الليالى والأيام والشهور.

وباب هذا كله التسليم.

المزاحمة على الحجر:

ولا بأس فى المزاحمة على الحجر على أن لا يؤذى أحداً.

فقد كان ابن عمر رضى اللّه عنهما يزاحم حتى يدمى أنفه.

وقد قال الرسول ﷺ لعمر رضى اللّه عنه: «يا أبا حفص. إنك رجل قوى، فلا تزاحم على الركن، فإنك تؤذى الضعيف».

ولكن إن وجدت خلوة فاستلم، وإلا فكبر وامض» رواه الشافعى فى سننه.

٢- الاضطباع[١]:

فعن ابن عباس رضى اللّه عنهما: أن النبى ﷺ وأصحابه

(١) الاضطباع: هو جعل وسط الرداء تحت الإبط الأيمن، وطرفيه على الكتف الأيسر.

اعتمروا من الجعرانة فاضطبعوا أرديتهم تحت آباطهم، وقذفوها على عواتقهم اليسرى. رواه أحمد وأبو داود. وهذا مذهب الجمهور.

وقالوا فى حكمته: إنه يعين على الرمل فى الطواف.

وقال مالك: لا يستحب، لأنه لم يعرف ولم يرَ أحداً يفعله ولا يستحب فى صلاة الطواف اتفاقًا.

٣ - الرمل[١] فى الأشواط الثلاثة الأول، والمشى فى سائر الأشواط الأربعة.

فعن ابن عمر رضى اللّه عنهما: أن رسول اللّه ﷺ رمل من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود ثلاثًا، ومشى أربعًا. رواه أحمد ومسلم.

ولو تركه فى الثلاث الأول لم يقضه فى الأربعة الأخيرة.

والاضطباع والرمل خاص بالرجال فى طواف العمرة، وفى كل طواف يعقبه سعى فى الحج.

وعند الشافعية: إذا اضطبع ورمل فى طواف القدوم ثم سعى بعده، لم يُعد الاضطباع والرمل فى طواف الإفاضة.

---

(١) الرمل: الإسراع فى المشى مع هز الكتفين وتقارب الخطا، وقد شرع إظهاراً للقوة والنشاط.

وإن لم يسع بعده، وآخر السعى إلى ما بعد طواف الزيارة اضطبع ورمل فى طوال الزيارة.

أما النساء، فلا اضطباع عليهن - لوجوب سترهن - ولا رمل، لقول ابن عمر رضى الله عنهما: ليس على النساء سعى[1] بالبيت، ولا بين الصفا والمروة. رواه البيهقى.

حكمة الرمل:

والحكمة فيه ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قدم رسول الله ﷺ مكة وقد وهنتهم[2] حمى يثرب[3]، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى، ولقوا منها شراً، فاطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ما قالوه، فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، فلما رأوهم رملوا، قال هولاء الذين ذكرتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد منها[4].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ولم يأمرهم أن يرملوا

---

(١) أى رمل.

(٢) وهنتهم: أى أضعفتهم.

(٣) يثرب: أى المدينة المنورة.

(٤) أجلد: أى أقوى وأشد.

الأشواط كلها إلا إبقاء[1] عليهم. رواه البخارى ومسلم وأبو داود، واللفظ له.

ولقد بدا لعمر رضى الله عنه أن يدع الرمل بعدما انتهت الحكمة منه، ومكن الله للمسلين فى الأرض، إلا أنه رأى إبقاءه على ما كان عليه فى العهد النبوى، لتبقى هذه الصورة ماثلة للأجيال بعده.

قال محب الدين الطبرى: وقد يحدث شىء من أمر الدين لسبب، ثم يزول السبب ولا يزول حكمه.

فعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: فيم الرملان اليوم، والكشف عن المناكب؟ وقد أطأ[2] الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ.

٤- استلام[3] الركن اليمانى:

لقول ابن عمر رضى الله عنهما: لم أرَ النبى ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين.

---

(١) إبقاء عليهم. هذا تعليل لعدم الرمل فى جميع الأشواط حتى لا يجهدوا أو يصابوا بضرر.

(٢) أطأ : أى ثبت.

(٣) الاستلام: المسح باليد.

وقال: ما تركت استلام هذين الركنين - اليمانى، والحجر الأسود - منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما، فى شدة، ولا فى رخاء. رواهما البخارى ومسلم.

وإنما يستلم الطائف هذين الركنين، لما فيهما من فضيلة، ليست لغيرهما.

ففى الركن الأسود ميزتان، إحداهما: أنه على قواعد إبراهيم عليه السلام.

وثانيتهما: أن فيه الحجر الأسود الذى جعل مبدءاً للطواف ومنتهى له.

وأما الركن اليمانى المقابل له، فقد وضع أيضًا على قواعد إبراهيم عليه السلام.

روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أخبر بقول عائشة رضى الله عنهما: «إن الحجر بعضه من البيت».

فقال ابن عمر: والله إنى لأظن عائشة إن كانت سمعت هذا من رسول الله ﷺ إنى لأظن رسول الله ﷺ لم يترك استلامها، إلا أنهما ليسا على قواعد البيت، ولا طاف الناس وراء الحجر إلا لذلك.

والأمة متفقة على استحباب استلام الركنين اليمانيين، وعلى أنه لا يستلم الطائف الركنين الآخرين.

وروى ابن حبان فى صحيحه: أن النبى ﷺ قال: «الحجر والركن اليمانى يحط الخطايا حطًا».

صلاة ركعتين بعد الطواف[1]:

يسن للطائف صلاة ركعتين بعد كل طواف[2]، عند مقام إبراهيم. أو فى أى مكان من المسجد.

فعن جابر رضى الله عنه: أن النبى ﷺ حين قدم مكة، طاف بالبيت سبعًا، وأتى المقام فقرأ: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى».

فصلى خلف المقام ثم أتى الحجر فاستلمه، رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

والسنة فيهما قراءة سورة «الكافرون» بعد «الفاتحة» فى الركعة الأولى، وسورة «الإخلاص» فى الركعة الثانية.

فقد ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ، كما رواه مسلم، وغيره.

---

(١) وهى واجبة عند أبى حنيفة.

(٢) أى سواء كان الطواف فرضًا أو نفلاً.

وتؤديان فى جميع الأوقات. حتى أوقات النهى.

فعن جبير بن مطعم: أن النبى ﷺ قال: «يا بنى عبد مناف، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت، وصلى أية ساعة شاء، من ليل، أو نهار رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه: وهذا مذهب الشافعى وأحمد.

وكما أن الصلاة بعد الطواف تسن فى المسجد، فإنها تجوز خارجه. فقد روى البخارى عن أم سلمة رضى الله عنها: أنها طافت راكبة، فلم تصل حتى خرجت.

وروى مالك عن عمر رضى الله عنه: أنه صلاهما بذى طوى.

وقال البخارى: وصلى عمر رضى الله عنه خارج الحرم.

ولو صلى المكتوبة بعد الطواف أجزأته عن الركعتين. وهو الصحيح عند الشافعية والمشهور من مذهب أحمد. وقال مالك والأحناف: لا يقوم غير الركعتين مقامهما.

المرور أمام المصلى فى الحرم المكى:

يجوز أن يصلى المصلى فى المسجد الحرام، والناس يمرون أمامه، رجالاً ونساء، بدون كراهة. وهذا من خصائص المسجد الحرام.

فعن كثير بن كثير بن المطلب بن وداعة، عن بعض أهله، عن جده: أنه رأى النبى ﷺ يصلى ما يلى بنى سهم، والناس يمرون بين يديه وليس بينهما سترة».

قال سفيان بن عيينة: «ليس بينه وبين الكعبة سترة» رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجة.

طواف الرجال مع النساء

روى البخارى عن ابن جريج قال: أخبرنى عطاء إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال، قال: كيف تمنعهن، وقد طاف نساء النبى ﷺ مع الرجال؟

قال: قلت: أبعد الحجاب أم قبله؟

قال: أى لعمرى لقد أدركته بعد الحجاب.

قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكن يخالطن الرجال كانت عائشة رضى الله عنها تطوف حجرة[1] مع الرجال، لا تخالطهم. فقالت امرأة: انطلقى نستلم يا أم المؤمنين. قالت: انطلقى .. عنك، وأبت.

---

(١) حجرة : أى ناحية منفردة.

فكن يخرجن متنكرات بالليل فطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت، قمن، حتى يدخلن وأخرج الرجال. وللمرأة أن تستلم الحجر عند الخلوة، والبعد عن الرجال.

فعن عائشة رضى الله عنها: أنها قالت لامرأة: لا تزاحمى على الحجر، إن رأيت خلوة فاستلمى، وإن رأيت زحامًا فكبرى وهللى إذا حاذيت به، ولا تؤذى أحداً.

ركوب الطائف:

يجوز للطائف الرُكوب، وإن كان قادرً على المشى، إذا وجد سبب يعدو إلى الركوب.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ طاف فى حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن[1]. رواه البخارى ومسلم.

وعن جابر رضى الله عنه قال: «طاف النبى ﷺ فى حجة الوداع على راحلته بالبيت، وبالصفا وبالمروة، ليراه الناس، وليشرف، وليسألوه ، فإن الناس غشوه[2].

---

(١) المحجن: عود معقود الرأس يكون مع الراكب يحرك به راحلته.

(٢) غشوه: ازدحموا عليه.

استحباب الشرب من ماء زمزم:

وإذا فرغ الطائف من طوافه، وصلى ركعتين عن المقام، استحب له أن يشرب من ماء زمزم.

وقد ورد فى فضل ماء زمزم أحاديث كثيرة فمنها: ما رواه مسلم فى صحيحه فى قصة إسلام أبى ذر - رضى الله عنه: «إنها طعام طُعْم»[1] ورواه أبو داود الطيالسى مرفوعًا بزيادة: «طعامُ طُعْم، وشفاء سُقم» وروى الإمام أحمد بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له» روراه سويد بن سعيد وهو ضعيف وروى الدارقطنى والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبى ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له: إن شربته لتستشفى شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهى هزمة[2] جبريل. وسقيا الله إسماعيل»، ومهما يكن من شىء فقد صحح الحافظ الدمياطى - وهو من الحفاظ المتأخرين المتقنين - حديث: «ماء زمزم لما شُرب له» وأقره الحافظ العراقى»[3].

---

(١) مشبع.

(٢) هزمة أو همزة: أثر ضربته فى الأرض بعقبة، أو بجناحه.

(٣) مقدمة ابن الصلاح وشرحها، للحافظ العراقى، ص ١٣.

وروى ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل: «إذا شربت من زمزم فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثًا[1]، وتضلع منها[2]، فإذا فرغت فاحمد الله، فإن رسول ﷺ قال: «إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم»[3].

ولن تجد أحلى، ولا أهنأ من ماء زمزم حين تخرج من البئر، وأقرب ما تكون فى هذه الحالة إلى اللبن الحليب قريب العهد بثديه، وتبريدها أو تبخيرها يخرجها عن طبيعتها المستساغة، وفوائدها الصحية والغذائية معروفة بالتجربة، ولكن لابد أن يصاحب شربها حسن الاعتقاد فى فوائدها، وإلا فلا يستفيد شاربها منها، لأن المعروف أن من يشرب الشراب وهو له كاره، أو معتقد عدم جدواه لن يشعر بفائدته، وهذا هو السبب فى أن البعض يعاف ماء زمزم، ولا يستسيغها، ولا يستفيد منها.

---

(١) يعنى خارج الإناء، والمراد أن يشرب على ثلاث مرات، فقد ورد نهى النبى عن التنفس فى الإناء.

(٢) أى اشرب منها حتى ترتفع أضلاعك كناية عن الشرب الكثير.

(٣) البداية والنهاية ، ج٢، ص ٢٤٧.

وأشهد الله أنى ما عافتها نفسى قط، وقد تضلعت منها مراراً وتكراراً، ولا سيما وهى خارجة من بئرها، وأنى ما استفدت فى تنظيم جهازى الهضمى بشىء مثل ما استفدت منها، وصدق رسول الله: «إنها طعامُ طُعم، وشفاء سقيم»[1].

(١) السيرة النبوية للشيخ محمد أبو شهبة.

قصة عبد المطلب وحفره لزمزم

روى ابن إسحاق فى سيرته بسنده عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه كان يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال: قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت[1] فقال: احفر طيبة[2]. قال: قلت: وما طيبة؟! فقال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر برَّة[3] . قال: قلت: وما برة؟! قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر المضنونة[4]. قال: قلت: وما المضنونة؟! قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر زمزم، قال: قلت وما زمزم؟! قال: لا تنزف[5] أبداً، ولا تذم[6]، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين

---

(١) يعنى فى المنام.

(٢) لأنها للطيبين والطيبات من ذرية إبراهيم.

(٣) لأنها فاضت على الأبرار، وغاضت عن الفجار، ولأن برها كثير لا ينقطع.

(٤) لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلّع منها منافق.

(٥) لا يفرغ ماؤها، ولا يلحق قعرها.

(٦) لا توجد قليلة الماء من قولهم: بئر ذمة أى قليلة وليس المراد ضد المدح لأن المنافقين وأرقاء الإيمان يذمونها.

الفرث والدم[1]، عند نقرة الغراب الأعصم[2]، عند قرية النمل[3].

فلما بيَّن له شأنها ودلَّ على موضعها، خرج بمعوله، ومعه ابنه الحارث، وليس له ولد غيره يومئذ، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي[4] كبَّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها لحقاً، فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل!! إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم، قالوا: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بينيَ وبينكم من شئتم أحاكمكم

---

(١) تشبيهاً لها باللبن كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ [النحل :٦٦]. ويقال: بل كان هناك في موضعها فرث ودم.

(٢) الذي إحدى رجليه بيضاء.

(٣) قال السهيلي: «أما النمل أيضاً ففيها من المشاكلة والمناسبة أن زمزم هي عين مكة التي يردها الحجيج، والعمَّار من كل جانب، فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك، ولا تزرع، وقرية النمل لا تحرث، ولا تبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب»، قال الزرقاني في «شرح المواهب»: «وأطال: يعني الإمام السهيلي في الروض في وجه تأويل هذه الرؤيا بما يحسن كتبه بالعسجد». (شرح المواهب، ج ١ص١١٢).

(٤) الحجارة التي غطى بها البئر.

إليه، قالوا: كاهنة بنى سعد هُذَيم، قال: نعم وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى كادت أعناقهم تنقطع من العطش، وضن عليهم بنو قومهم من قريش بالماء، وقالوا: إنا بمفاوز وإنا لنخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فرأى عبد المطلب أن يحفر كل واحد لنفسه قبره، ففعلوا، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى.

ثم بدا لعبد المطلب ، فقال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض ولا نبغى لأنفسنا الماء لَعَجْز، فعسى أن يرزقنا الله ماء ببعض البلاد فارتحلوا، حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت عين ماء عذب من تحت خفِّها، فكبَّر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشربوا ، وملئوا أسقيتهم ، ثم دعا قريشاً، فقال: هلمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله، فجاؤا، وشربوا، واستقوا ثم قالوا: قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك فى زمزم أبداً، إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا الى الكاهنة، وخلُّوا بينه وبينها.

وفى رواية أخرى أن عبد المطلب لما رأى رؤياه غدا ومعه ابنه الحارث إلى حيث وصف له مكانها، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب الأعصم ينقر عندها بين الوثنين: إساف، ونائلة، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر، فقامت إليه قريش، وقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه: ذُدْ عَنِّى حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أمرت، فلما عرفوا أنه جادٌ خلّوا بينه وبين الحفر، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطى فكبر، وعرف أنه صُدق.

فلما تمادى به الحفر وجد غزالين من ذهب، ووجد الأسياف والأدرع، فقالت له قريش: لنا معك فى هذا شرك. فقال : لا ، ولكن هلمَّ إلى أمر نصَف بينى وبينكم، نضرب عليها القداح[1]، قالوا : وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين، ولى قدحين، ولكم قدحين، فمن خرج له قدحاه على شئ كان له، ومن تخلّف قدحاه فلا شئ له، قالوا أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا القداح لسادن هُبَل، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج

(١) جمع قدح بكسر القاف وهو السهم من الخشب الذى كانوا يستقسمون به.

الاسودان على الأسياف والأدرع لعبد المطلب، وتخلف قدحا قريش، فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب الغزالين حلية الباب، فكان أول ذهب حليت به الكعبة، ثم أقام عبد المطلب سقايتها للحاج، فكانت له عزاً وفخراً على قريش، وعلى سائر العرب، وقد ذكر عنه أنه قال: إنى لا أحلها لمغتسل، وهى لشارب حل وبل[1].

وكانت قريش لما طُمتّ زمزم حفرت أبياراً بمكة، فحفر هاشم بن عبد مناف بئراً عند فم شِعْب أبى طالب، وحفر عبد شمس بن عبد مناف بئراً بأعلى مكة، وحفر أمية بن عبد شمس بئراً لنفسه، وحفر بنو أسد بن عبد العزّى بئراً، وحفر بنو عبد الدار بئراً، وبنو جُمح بئراً، وبنو سَهْم بئراً، وهكذا.

فلما أعاد عبد المطلب حفر زمزم عَفَت على الآبار التى كانت قبلها، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) فى القاموس: والبل - بالكسر - الشفاء والمباح، ويقال: حل وبل، وهو إتباع يعنى بمعنى حل.

استحباب الدعاء عند الملتزم:

وبعد الشرب من ماء زمزم، يستحب الدعاء عند الملتزم فقد روى البيهقى عن ابن عباس: أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول: ما بين الركن والباب يدعو الملتزم، ولا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه.

وروى عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: «رأيت رسول الله ﷺ يلزق وجهه وصدره بالملتزم».

وقيل: إن الحطيم هو الملتزم. ويرى البخارى أن الحطيم الحجر نفسه. واحتج عليه بحديث الإسراء فقال: بينا أنا نائم فى الحطيم، وربما قال فى الحجر. قال: وهو حطيم: بمعنى محطوم، كقتيل، بمعنى مقتول.

استحباب دخول الكعبة وحجر إسماعيل:

روى البخارى ومسلم، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ الكعبة[1] هو وأسامة بن زيد، وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا، أخبرنى بلال: أن رسول الله ﷺ صلى فى جوف الكعبة، بين العمودين اليمانيين.

---

(١) كان ذلك فى عام الفتح.

وقد استدل العلماء بهذا على أن دخول الكعبة والصلاة فيها سنة.

وقالوا : وهو وإن كان سنة، إلا أنه ليس من مناسك الحج لقول ابن عباس رضى الله عنهما: أيها الناس إن دخولكم البيت ليس فى حجكم فى شئ. رواه الحاكم بسند صحيح. ومن لم يتمكن من دخول الكعبة، يستحب له الدخول فى حجر إسماعيل والصلاة فيه فإن جزءا منه من الكعبة .

روى أحمد بسند جيد، عن سعيد بن جبير، عن عائشة قالت: يا رسول الله كل أهلك قد دخل البيت غيرى فقال أرسلى إلى شيبة[1] فيفتح لك الباب، فأرسلت اليه.

فقال شيبة : ما استطعنا فتحه فى جاهلية، ولا إسلام، بليل.

فقال النبى ﷺ: «صلى فى الحجر فإن قومك استقصروا[2] عن بناء البيت، حين بنوه» فإذا فرغت من الطواف وشربت وتضلعت من ماء زمزم فهيا إلى: السعى بين الصفا والمروة.

---

(١) ابن عثمان بن طلحة كان بيده مفتاح الكعبة.

(٢) استقصروا : أى تركوا منه جزءاً وهو الحجر.

السعى بين الصفا والمروة

أصل مشروعيته:

روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وبابنها «إسماعيل» عليه السلام، وهى ترضعه، حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم فوضعهما تحتها وليس بمكة يومئذ من أحد، وليس بها ماء، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم مضى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس، ولا شئ؟ فقالت له ذلك مراراً، فجعل لا يلتفت إليها، فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. فقالت: إذن لا يضيعنا.

وفى رواية: فقالت له: الى من تتركنا؟ قال: إلى الله. فقالت: قد رضيت. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات، رفع يديه وقال: «ربنا إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

وقعدت أم إسماعيل تحت الدوحة، ووضعت ابنها الى جنبها وعلقت شنها[1] تشرب منه، وترضع ابنها، حتى فنى ما فى شنها، فانقطع درها[2]، واشتد جوع ابنها حتى نظرت إليه يتشحط؛ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فقامت على الصفا - وهو أقرب جبل يليها - ثم استقبلت الوادى تنظر، هل ترى أحداً؟ فلم ترَ أحداً، فهبطت من الصفا. حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى إنسان مجهود، حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت، هل ترى أحداً؟ فلم ترَ أحداً ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال النبى ﷺ: فذلك سعى الناس بينهما.

حكمه:

اختلف العلماء فى حكم السعى بين الصفا والمروة، الى آراء ثلاثة:

أ - فذهب ابن عمر، وجابر، وعائشة من الصحابة رضى الله عنهم، ومالك، والشافعى، وأحمد - فى إحدى الروايتين عنه -

---

(١) الشن القربة.

(٢) لبنها.

الى أن السعى ركن من أركان الحج. بحيث لو ترك الحاج السعى بين الصفا والمروة، بطل حجه ولا يجبر بدم، ولا غيره، واستدلوا لمذهبهم بهذه الأدلة.

١ - روى البخارى عن الزهرى ، قال عروة: سألت عائشة رضى الله عنها ، فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما» فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة .

قالت: بئسما قلت يا ابن أخي: إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها أنزلت فى الأنصار:

كانوا قبل ان يسلموا يهلون لمناة التى كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة.

فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك.

قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى «إن الصفا والمروة من شعائر الله» الآية.

قالت عائشة رضى الله عنها: «وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما».

٢ - وروى مسلم عن عائشة قالت: طاف رسول الله ﷺ وطاف المسلمون - يعنى بين الصفا والمروة - فكانت سنة، ولعمرى ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة.

٣ - ولأنه نسك فى الحج والعمرة، فكان ركناً فيهما، كالطواف بالبيت.

ب - وذهب ابن عباس وأنس وابن الزبير وابن سيرين، ورواية عن أحمد: أنه سنة، لا يجب بتركه شئ.

١ - استدلوا بقوله تعالي: «فلا جناح عليه أن يطوف بهما»، ونفى الحرج عن فاعله: دليل على عدم وجوبه، فان هذا رتبة المباح.

وإنما تثبت سنيته بقوله: «من شعائر الله»

وروى فى مصحف أُبَىٍّ، وأبن مسعود: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما» وهذا، وإن لم يكن قرآنا، فلا ينحط عن رتبة الخبر، فيكون تفسيراً.

٢ - ولأنه نسك ذو عدد، لا يتعلق بالبيت، فلم يكن ركناً كالرمي.

جـ - وذهب أبو حنيفة، والثوري، والحسن، الى أنه واجب وليس بركن، ولا يبطل الحج أو العمرة بتركه، وانه اذا تركه وجب عليه دم.

ورجح صاحب المغنى هذا الرأى فقال:

١ - وهو أولى ؛ لأن دليل من أوجبه دل على مطلق الوجوب، لا على كونه لا يتم الواجب إلا به.

٢ - وقول عائشة فى ذلك معارض بقول من خالفها من الصحابة.

وهو يدل على أنه مكتوب، وهو الواجب.

٣- وأما الآية فإنها نزلت لما تحرج ناس من السعى فى الإسلام، لمّا كانوا يطوفون بينهما فى الجاهلية، لأجل صنمين، كانا على الصفا والمروة.

شروطه :

يشترط لصحة السعى أمور :

١ - أن يكون بعد طواف .

٢ - وأن يكون سبعة أشواط.

٣- وأن يبدأ بالصفا ويختم بالمروة[١].

٤ - وأن يكون السعى فى المسعي، وهو الطريق الممتد بين الصفا والمروة[٢].

لفعل رسول الله ﷺ ذلك ، مع قوله: «خذوا عنى مناسككم». فلو سعى قبل الطواف، أو بدأ بالمروة، وختم بالصفا، أو سعى فى غير المسعي، بطل سعيه.

الصعود على الصفا:

ولا يشترط لصحة السعى أن يرقى على الصفا والمروة. ولكن يجب عليه ان يستوعب ما بينهما، فيلصق قدمه بهما فى الذهاب والإياب. فإن ترك شيئاً لم يستوعبه، لم يجزئه حتى يأتي.

الموالاة فى السعى:

ولا تشترط الموالاة فى السعى:[٣]

فلو عرض له عارض يمنعه من مواصلة الأشواط، أو أقيمت

---

(١) يقدر طوله ٤٢٠ متراً.

(٢) مذهب الأحناف: انهما واجبان لا شرطان، فإذا سعى قبل الطواف أو بدأ بالمروة، وختم بالصفا صح سعيه، ووجب عليه دم.

(٣) عند مالك موالاة السعى - بلا تفريق كثير - شرط.

الصلاة، فله أن يقطع السعى لذلك. فإذا فرغ مما عرض له، بنى عليه وأكمله.

فعن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه كان يطوف بين الصفا والمروة، فأعجله البول، فتنحى ودعا بماء فتوضأ، ثم قام، فأتم على ما مضى . رواه سعيد بن منصور. كما لا تشترط الموالاة بين الطواف والسعي.

قال فى المغنى : قال أحمد: لا بأس أن يؤخر السعى حتى يستريح، أو إلى العشى. وكان عطاء والحسن لا يريان بأساً - لمن طاف بالبيت أول النهار - أن يؤخر الصفا والمروة الى العشى.

وفعله القاسم وسعيد بن جبير، لأن الموالاة اذا لم تجب فى نفس السعي، ففيما بينه وبين الطواف أولي.

وروى سعيد وسعيد بن منصور: أن سودة زوج عروة بن الزبير سعت بين الصفا والمروة، فقضيت طوافها فى ثلاثة أيام، وكانت ضخمة.

الطهارة للسعى:

ذهب أكثر أهل العلم: إلى أنه لا تشترط الطهارة للسعى بين الصفا والمروة. لقول رسول الله ﷺ لعائشة، حين حاضت :

«فاقضى ما يقضى الحاج، غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تغتسلى » رواه مسلم.

وقالت عائشة وأم سلمة: إذا طافت المرأة بالبيت وصلت ركعتين، ثم حاضت فلتطف بالصفا والمروة. رواه سعيد بن منصور.

وإن كان المستحب أن يكون المرء على طهارة فى جميع مناسكه فإن الطهارة أمر مرغوب شرعاً.

المشى والركوب فيه

يجوز السعى راكباً وماشياً، والمشى أفضل.

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما يفيد أنه ﷺ مشى، فلما كثر عليه الناس وغشوه ركب ليروه ويسألوه.

قال أبو الطفيل لابن عباس رضى الله عنهما: أخبرنى عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً، أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة.

قال: صدقوا وكذبوا. قال: قلت: وما قولك: صدقوا وكذبوا؟

قال: إن رسول الله ﷺ كثر عليه الناس يقولون هذا محمد، هذا محمد حتى خرج العواتق[1] من البيوت. قال: وكان رسول الله ﷺ لايضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس ركب.

(١) العواتق: جمع عاتق وهى البكر البالغة. سميت كذلك لأنها عتقت من الابتذال والتصرف الذى تفعله الطفلة.

والمشى والسعى[1] أفضل. رواه مسلم وغيره .

والركوب، وإن كان جائزاً، إلا أنه مكروه .

قال الترمذى : وقد كره قوم من أهل العلم أن يطوف الرجل بالبيت وبين الصفا والمروة راكباً إلا من عذر وهو قول الشافعى.

وعند المالكية: أن من سعى راكباً من غير عذر أعاد ، إن لم يفت الوقت، وإن فات فعليه دم، لأن المشى عند القدرة عليه واجب. وكذا يقول أبو حنيفة:

وعللوا ركوب رسول الله ﷺ ، بكثرة الناس وازدحامهم عليه، وغشيانهم له. وهذا عذر يقتضى الركوب.

استحباب السعى بين الميلين :

يندب المشى بين الصفا والمروة، فيما عدا ما بين الميلين، فانه يندب الرمل بينهما.

وفى حديث ابن عباس المتقدم: والمشى والسعى أفضل.

أى السعى فى بطن الوادى بين الميلين، والمشى فيما سواه.

فان مشى دون أن يسعى جائز.

فعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال: رأيت ابن عمر رضى

(١) السعى يكون فى بطن الوادى بين الميلين. والمشى فيما سواه.

الله عنهما يمشى بين الصفا والمروة. ثم قال:

إن مشيت، فقد رأيت رسول الله ﷺ ، يمشى.

وإن سعيت، فقد رأيت رسول الله ﷺ يسعى، فأنا شيخ كبير. رواه أبوداود والترمذى.

وهذا الندب فى حق الرجل.

أما المرأة فانه لا يندب لها السعى، بل تمشى مشيًا عاديًا.

روى الشافعى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت - وقد رأت نساء يسعين -: أما لكن فينا أسوة؟... ليس عليكن سعى[1].

(١) أى إنهن يمشين ولا يسعين، إذ لا خلاف فى وجوب السعى عليهن.

استحباب الرقى على الصفا والمروة والدعاء عليهما مع استقبال البيت

يستحب الرقى على الصفا والمروة، والدعاء عليهما بما شاء من أمر الدين والدنيا مع استقبال البيت.

فالمعروف من فعل النبى ﷺ : أنه خرج من باب الصفا.

فلما دنا من الصفا قرأ: «إن الصفا والمروة من شعائر الله». أبدماً بما بدأ الله به.

فبدأ بالصفا فرقى عليه، حتى رأى البيت.

فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، ثلاثا، وحمده وقال": لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

ثم دعا بين ذلك، وقال مثل هذا، ثلاث مرات.

ثم نزل ما شيًا إلى المروة، حتى أتاها، فرقى عليها، حتى نظر إلى البيت ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

وعن نافع قال: سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما -

وهو على الصفا يدعو - يقول: اللهم إنك قلت: «أدعونى أستجب لكم» وإنك لا تخلف الميعاد، وإنى أسألك - كما هديتنى للإسلام - أن لا تنزعه منى حتى تتوفانى وأنا مسلم.

الدعاء بين الصفا والمروة:

يستحب الدعاء بين الصفا والمروة، وذكر الله تعالى، وقراءة القرآن.

وقد روى أنه ﷺ كان يقول فى سعيه: «رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم».

وروى عنه: «رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم».

وبالطواف والسعى تنتهى أعمال العمرة.

ويحل المحرم من إحرامه بالحلق أو التقصير إن كان متمتعًا.

ويبقى على إحرامه إن كان قارنًا. ولا يحل إلا يوم النحر.

ويكفيه هذا السعى عن السعى بعد طواف الفرض، إن كان قارنًا.

ويسعى مرة أخرى، بعد طواف الإفاضة إن كان متمتعًا. وبقى بمكة حتى يوم التروية. فإذا فرغت من السعى فهيا بنا إلى.

التوجه إلى منى:

من السنة التوجه إلى منى يوم التروية[1].

فإن كان الحاج قارنًا، أو مفرداً، توجه إليها بإحرامه.

وإن كان متمتعًا، أحرم بالحج، وفعل كما فعل عند الميقات.

والسنة: أن يحرم من الموضع الذى هو نازل فيه.

فإن كان فى مكة: أحرم منها «وإن كان خارجها: أحرم حيث هو».

ففى الحديث: «من كان منزله دون مكة فهله من أهله» حتى أهل مكة يهلون من مكة».

ويستحب الإكثار من الدعاء والتلبية عند التوجه إلى منى وصلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، والمبيت بها. وأن لا يخرج الحاج منها حتى تطلع شمس يوم التاسع، اقتداء بالنبى ﷺ.

فإن ترك ذلك أو شيئًا فقد ترك السنة، ولا شىء عليه.

فإن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية، حتى دخل الليل، وذهب ثلثه: روى ذلك ابن المنذر.

---

(١) يوم التروية: هو اليوم الثامن من ذى الحجة. وسمى بذلك، لأنه مشتق من الرواية، لأن الإمام يروى للناس مناسكهم.
وقيل من الارتواء لأنهم يرتوون الماء فى ذلك اليوم، ويجمعونه بمنى.

جواز الخروج قبل يوم التروية:

روى سعيد بن منصور عن الحسن: أنه كان يخرج إلى منى، من مكة، قبل التروية بيوم، أو بيومين.

وكرهه مالك، وكره الإقامة بمكة يوم التروية حتى يمسى، إلا إن أدركه وقت الجمعة بمكة، فعليه، أن يصليها قبل أن يخرج. ثم بعد ذلك نتوجه إلى حيث يباهى الله بنا ملائكته إلى موطن الرحمات والتجليات واستجابة الدعوات ومهبط الرحمات.

التوجه إلى عرفات

يسن التوجه إلى عرفات بعد طلوع شمس يوم التاسع، مع التكبير، والتهليل، والتلبية.

قال محمد بن أبى بكر الثقفى: سألت أنس بن مالك - ونحن غاديان من منى إلى عرفات - عن التلبية، كيف كنتم تصنعون مع النبى ﷺ؟ قال: كان يلبى الملبى، فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر، فلا ينكر عليه، ويهلل المهلل، فلا ينكر عليه. رواه البخارى وغيره.

ويستحب النزول بنمرة والاغتسال عندها للوقوف بعرفة.

ويستحب أن لا يدخل عرفة إلا وقت الوقوف بعد الزوال.

والسنن والمستحبات إذا لم يتيسر فعلها فلا شىء عليه.

الوقوف بعرفة

فضل يوم عرفة:

عن جابر رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ . «ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة». فقال رجل: هن أفضل من عدتهنَّ جهاداً فى سبيل الله؟ قال: من أفضل من عدتهنَّ جهاداً فى سبيل الله. وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول: أنظروا إلى عبادى، جاءونى شعثًا غبراً. ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتى ولم يروا عذابى، فلم يُرَ يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة».

قال المنذرى: رواه أبويعلى والبزار، وابن خزيمة وابن حبان، واللفظ له.

وروى ابن المبارك، عن سفيان الثورى، عن الزبير بن على، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: وقف النبى ﷺ بعرفات، وقد كادت الشمس أن تشوب. فقال: يا بلال: أنصت لى الناس. فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصت الناس. فقال: معشر الناس، أتانى جبريل عليه السلام آنفًا. فأقرأنى من ربِّى

السلام وقال: إن الله عزّ وجل غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر الحرام، وضمن عنهم التبعات.

فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يارسول الله لنا خاصة؟ قال: هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة. فقال عمر رضى الله عنه: كثر خير الله وطاب.

روى مسلم وغيره، عن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو عزَّ وجلَّ ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء»؟.

وعن أبى الدراء رضى الله عنه. أن النبى ﷺ قال: «ما رؤى الشيطان يومًا هو فيه أصغر، ولا أدحر[1] ولا أغيظ منه فى يوم عرفة».

وما ذاك إلا لما رأى من تنزيل الرحمة. وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أرى من يوم بدر.

قيل: وما رأى يوم بدر يارسول الله؟ قال: أما إنه رأى جبريل يزع[2] الملائكة. رواه مالك مرسلاً والحاكم موصولاً.

---

(١) أدحر، الدحر: الدفع بعنف على سبيل الإذلال والإهانة.

(٢) يزع: أى يقود.

حكم الوقوف:

أجمع العلماء: على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم لما رواه أحمد، وأصحاب السُنَن، عن عبد الرحمن بن يَعمُرَ: أن رسول الله ﷺ أمر مناديًا ينادى «الحج عرفة[1]، من جاء ليلة جمع[2] قبل طلوع الفجر فقد أدرك».

وقت الوقوف:

يرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع[3] إلى طلوع فجر يوم العاشر، وأنه يكفى الوقوف فى أى جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً.

إلا أنه إن وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب.

أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شىء.

ومذهب الشافعى: إن مد الوقوف إلى الليل سنة.

المقصود بالوقوف:

المقصود بالوقوف: الحضور والوجود، فى أى جزء من عرفة

(١) الحج عرفة: أى الحج الصحيح حج من أدرك الوقوف يوم عرفة.

(٢) ليلة جمع: ليلة المبيت بمزدلفة، وهى ليلة النحر. وظاهره أن يكفى الوقوف فى أى جزء من عرفة ولو لحظة.

(٣) مذهب الحنابلة: أن الوقوف يبتدئ من فجر يوم التاسع إلى فجر يوم النحر.

ولو كان نائمًا، أو يقظان، أو راكبًا، أو قاعداً، أو مضطجعًا، أو ماشيًا.

وسواء أكان طاهراً أم غير طاهر كالحائض والنفساء والجنب.

واختلفوا فى وقوف المغمى عليه ولم يفق حتى خرج من عرفات.

فقال أبوحنيفة ومالك: يصح.

وقال الشافعى، وأحمد، والحسن، وأبوثور، وإسحاق، وابن المنذر.: لا يصح، لأنه ركن من أركان الحج.

فلم يصح من المغمى عليه، كغيره من الأركان.

قال الترمذى عقب تخريجه لحديث ابن يعمر المتقدم: قال سفيان الثورى: والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم: أن من لم يقف بعرفات قبل الفجر، فقد فاته الحج، ولا يجزئ عنه إن جاء بعد طلوع الفجر، ويجعلها عمرة وعليه الحج من قابل وهو قول الشافعى، وأحمد، وغيرهما.

استحباب الوقوف عند الصخرات

يجزئ الوقوف فى أى مكان من عرفة، لأن عرفة كلها موقف

إلا بطن عرنه[1]، فإن الوقوف به لا يجزئ بالاجماع.

ويستحب أن يكون الوقوف عند الصخرات، أو قريبًا منها حسب الإمكان.

فإن رسول الله ﷺ وقف فى هذا المكان وقال: «وقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف» رواه أحمد، ومسلم، وأبوداود، من حديث جابر.

والصعود إلى جبل الرحمة واعتقاد أن الوقوف به أفضل خطأ، وليس بسنة.

استحباب الغسل:

يندب الاغتسال للوقوف بعرفة.

وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما يغتسل لوقوفه عشية عرفة. رواه مالك.

واغتسل عمر رضى الله عنه بعرفات وهو مهل.

آداب الوقوف والدعاء:

ينبغى المحافظة على الطهارة الكاملة، واستقبال القبلة والإكثار من الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه، ولغيره، بما شاء

(١) بطن عرنه: واد يقع فى الجهة الغربية من عرفة.

من أمر الدين والدنيا مع الخشية، وحضور القلب، ورفع اليدين.

قال أسامة بن زيد: كنت ردف النبى ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو. رواه النسائى.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال:

كان أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شىء قدير» رواه أحمد والترمذى ولفظه.

إن النبى ﷺ قال: «خير الدعاء، دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير».

ويروى عن الحسين بن الحسن المروزى قال: سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة.

فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فقلت له: هذا ثناء وليس بدعاء.

فقال: أما تعرف حديث مالك بن الحارث؟ هو تفسيره.

فقلت: حدثنيه أنت، فقال: حدثنا منصور عن مالك بن الحارث قال: يقول الله عز وجل: «إذا شغل عبدى ثناؤه علىَّ عن مسألتى

أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

قال: وهذا تفسير قول النبى ﷺ .

ثم قال سفيان: أما علمت ما قال أمية بن أبى الصلت حين أتى عبد الله بن جدعان يطلب نائله؟

فقلت: لا. فقال: قال أمية:

أأذكر حاجتى أم قد كفانى

حياؤك إن شيمتك الحياء

وعلمك بالحقوق وأنت فرع

لك الحسب المهذب والسناء

إذا أثنى عليك المرء يومًا

كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال: ياحسين، هذا مخلوق يكتفى بالثناء عليه دون مسألة، فكيف بالخالق؟

روى البيهقى[1] عن على رضى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أكثر دعاء من قبلى من الأنبياء، ودعائى يوم عرفة، أن أقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو

(١) سنده ضعيف.

على كل شيء قدير، اللهم اجعل فى بصرى نوراً، وفى سمعى نوراً، وفى قلبى نوراً. اللهم اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وشر فتنة القبر، وشر ما يلج فى الليل، وشر ما يلج فى النهار، وشر ما تهب به الرياح. وشر بوائق[1] الدهر».

الوقوف سنة إبراهيم عليه السلام:

وعن مربع الأنصارى قال: إن رسول الله ﷺ يقول: «كونوا على مشاعركم[2] فإنكم على إرث من إرث إبراهيم»[3] رواه الترمذى وقال: حديث ابن مربع، حديث حسن.

صيام يوم عرفة

ثبت أن رسول الله ﷺ أفطر يوم عرفة وأنه قال: «إن يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيد - أهل الإسلام - وهى أيام أكل وشرب».

وثبت عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفات.

وقد استدل أكثر أهل العلم بهذه الأحاديث: على استحباب

---

(١) بوائق الدهر: أى مهلكاته.

(٢) مشاعر: جمع مشعر، مواضع النسك، سميت بذلك لأنها معالم العبادات.

(٣) أى أن موقفهم موقف إبراهيم ورثوه منه، ولم يخطئوا فى الوقوف فيه عن سنته.

الإفطار يوم عرفة للحاج، ليتقوى على الدعاء والذكر.

وما جاء من الترغيب فى صوم يوم عرفة، فهو محمول على من لم يكن حاجًا بعرفة.

الجمع بين الظهر والعصر:

فى الحديث الصحيح: أن النبى ﷺ، جمع بين الظهر والعصر بعرفة.

أذن ثم أقام، فصلى ا لظهر ثم أقام، فصلى العصر.

وعن الأسود، وعلقمة، أنهما قالا: من تمام الحج أن يصلى الظهر والعصر مع الإمام بعرفة.

وقال ابن المنذر: «أجمع أهل العلم، على أن الإمام يجمع بين الظهر والعطر بعرفة، وكذلك من صلى مع الإمام».

فإن لم يجمع مع الإمام يجمع منفرداً.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه كان يقيم بمكة، فإذا خرج إلى منى، قصر الصلاة.

وعن عمرو بن دينار قال: قال لى جابر بن زيد: أقصر الصلاة بعرفة. روى ذلك سعيد بن منصور.

الإفاضة من عرفة

يسن الإفاضة[1] من عرفة بعد غروب الشمس، بالسكينة.

وقد أفاض ﷺ بالسكينة، وضم إليه زمام ناقته، حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله، وهو يقول:

أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع - أى الإسراع - رواه البخارى ومسلم.

وكان - صلوات الله وسلامه عليه - يسير العنق[2] إذا وجد فجوة نص[3]. رواه الشيخان.

أى أنه كان يسير سيراً رفيقًا من أجل الرفق بالناس.

فإذا وجد فجوة - أى مكانًا متسعًا، ليس به زحام - سار سيراً فيه سرعة.

ويستحب التلبية والذكر.

فإن رسول الله ﷺ لم يزل يلبى، حتى رمى جمرة العقبة.

وعن أشعث بن سليم، عن أبيه قال: أقبلت مع ابن عمر رضى

---

(١) الإفاضة: الدفع، يقال: أفاض من المكان، إذا أسرع منه إلى المكان الآخر، وأصله، الدفع، سمى به لأنهم إذا انصرفوا ازدحموا، ودفع بعضهم بعضًا.

(٢) العنق: هو السير بين الإبطاء والاسراع.

(٣) النَّصّ: هو السير السريع.

الله عنهما من عرفات إلى مزدلفة، فلم يكن يفتر من التكبير والتهليل حتى أتينا المزدلفة، رواه أبوداود.

الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة:

فإذا أتى المزدلفة، صلى المغرب والعشاء ركعتين بآذان وإقامتين، من غير تطوع بينهما.

ففى حديث مسلم: أنه ﷺ أتى المزدلفة. فجمع بين المغرب والعشاء، بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح[1] بينها شيئًا.

وهذا الجمع سُنَّةٌ بإجماع العلماء.

واختلفوا فيما لو صلى كل صلاة فى وقتها.

فجوزه أكثر العلماء، وحملوا فعله ﷺ على الأولوية.

وقال الثورى وأصحاب الرأي: إن صلى المغرب دون مزدلفة، فعليه الإعادة.

وجوزوا فى الظهر والعصر أن يصلى كل واحدة فى وقتها مع الكراهية.

المبيت بالمزدلفة والوقوف بها:

فى حديث جابر رضى الله عنه: أنه ﷺ لما أتى المزدلفة، صلى المغرب والعشاء.

---

(١) يسبح: أى يصلى.

ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر. ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، ولم يزل واقفًا، حتى أسفر جداً، ثم دفع قبل طلوع الشمس.

ولم يثبت عنه ﷺ أن أحيا هذه الليلة.

وهذه هى السنة الثابتة فى المبيت بالمزدلف، والوقوف بها.

وقد أوجب أحمد المبيت بالمزدلفة على غير الرعاة والسقاة.

أما هم فلا يجب عليهم المبيت بها.

أما سائر أئمة المذاهب، فقد أوجبوا الوقوف بها دون البيات.

والمقصود بالوقوف الوجود على أية صورة.

سواء أكان واقفًا أم قاعداً، أم سائراً أم نائمًا.

وقالت الأحناف: الواجب هو الحضور بالمزدلفة قبل فجر يوم النحر.

فلو ترك الحضور لزمه دمه.

إلا إذا كان له عذر، فإنه لا يجب عليه الحضور، ولا شىء عليه حينئذ.

وقالت المالكية: الواجب هو النزول بالمزدلفة ليلاً، قبل الفجر، بمقدار ما يحط رحله وهو سائر من عرفة إلى منى، ما لم يكن له عذر.

فإن كان له عذر، فلا يجب عليه النزول.

وقالت الشافعية: الواجب هو الوجود بالمزدلفة، فى النصف الثانى من ليلة يوم النحر، بعد الوقوف بعرفة. ولا يشترط المكث بها، ولا العلم بأنها المزدلفة، بل يكفى المرور بها.

سواء أعلم أن هذا المكان هو المزدلفة، أم لم يعلم.

والسنة أن يصلى الفجر فى أول الوقت ثم يقف بالمشعر الحرام إلى أن يطلع الفجر، ويسفر جداً قبل طلوع الشمس. ويكثر من الذكر والدعاء.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

فإذا كان قبل طلوع الشمس، أفاض من مزدلفة إلى منى فإذا أتى محسراً أسرع قدر رمية بحجر.

مكان الوقوف:

المزدلفة كلها مكان للوقوف إلا وادى محسر[١].

فعن جبير بن مطعم: أن النبى ﷺ قال: «كل مزدلفة موقف، وارفعوا عن محسر» رواه أحمد، ورجاله موثقون.

والوقوف عند قزح أفضل.

(١) وادى محسر: وهو بين المزدلفة ومنى.

ففى حديث على رضى الله عنه: أن النبى ﷺ لما أصبح بجمع أتى قزح[1] فوقف عليه، وقال: «هذا قزح وهو الموقف، وجمع كلها موقف».

رواه أبوداود ،والترمذى وقال: حسن صحيح.

أعمال يوم النحر

أعمال يوم النحر تؤدى مرتبة هكذا:

يبدأ بالرمى، ثم الذبح، ثم الحلق، ثم الطواف بالبيت.

وهذا الترتيب سنة.

فلو قدم منها. نسكًا على نسك فلا شىء عليه، عند أكثر أهل العلم.

وهذا مذهب الشافعى.

لحديث عبد الله بن عمرو أنه قال: وقف رسول الله ﷺ فى حجة الوداع بمنى، والناس يسألونه، فجاءه رجل، فقال:

يارسول الله: إنى لم أشعر[2] فحلقت قبل أن أنحر.

---

(١) قزح: موضع من المزدلفة، وهو موقف قريش فى الجاهلية إذ كانت لا تقف بعرفة.

وقال الجوهرى: أمم جبل بالمزدلفة، ويقال: إنه المشعر الحزام عند كثير من الفقهاء.

(٢) لم أشعر: أى لم أتنبه ولم أدر.

فقال رسول الله ﷺ: «اذبح ولا حرج».

ثم جاء آخر، فقال: يارسول الله، إنى لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى.

فقال رسول الله ﷺ: «ارم ولا حرج».

قال: فما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: «إفعل ولا حرج».

وذهب أبوحنيفة: إلى أنه إن لم يراع الترتيب، فقدم نسكًا على نسك فعليه دم.

وتأول قوله: «ولا حرج» على رفع الإثم دون الفدية.

التحلل الأول والثانى

ويرمى الجمرة يوم النحر وحلق الشعر أو تقصيره يحل للمحرم كل ما كان محرمًا عليه بالإحرام.

فله أن يمس الطيب ويلبس الثياب وغير ذلك، ما عدا النساء.

وهذا هو التحلل الأول.

فإذا طاف طواف الإفاضة - وهو طواف الركن - حل له كل شيء حتى النساء.

وهذا هو التحلل الثانى والأخير.

رمى الجمار[1]

أصل مشروعيته:

روى البيهقى، عن سالم بن أبى الجعد، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض.

ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض.

ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: الشيطان ترجمون، وملة أبيكم تتبعون.

قال المنذرى: ورواه ابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم، وقال صحيح على شرطهما.

---

(١) الجمار: هى الحجارة الصغيرة. والجمار التى ترمى ثلاث. كلها يمنى، وهى:

١- جمرة العقبة: على يسار الداخل إلى منى.

٢- الوسطى بعدها وبينهما: ١١١٦٥٢٧ متراً.

٣- والصغرى: وهى التى تى مسجد الحيف، وبين الصغرى والوسطى، ١٥٦٠٤ متراً

حكمته :

قال أبوحامد الغزالى رحمه الله فى الإحياء: «وأما رمى الجمار فليقصد الرامى به الانقياد للأمر، وإظهاراً للرق والعبودية، وانتهاضًا لمجرد الامتثال، من غير حظ للنفس والعقل فى ذلك.

ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام، حيث عرض له إبليس - لعنه الله تعالى - فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة، أو يفتنه بمعصية. فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له، وقطعًا لأمله.

فإن خطر لك: أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه، وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان.

فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان، وأنه هو الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه. وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به؟

فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير والرمى، فبذلك ترغم أنف الشيطان. واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى فى العقبة، وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره.

إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيمًا له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس فيه.

حكمه:

ذهب جمهور العلماء: إلى أن رمى الجمار واجب، وليس بركن، وأن تركه يجبر بدم.

لما رواه أحمد ومسلم والنسائى، عن جابر رضى الله عنه قال: رأيت النبى ﷺ يرمى الجمرة على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا عنى مناسككم، فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه».

وعن عبد الرحمن التيمى قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نرمى الجمار بمثل حصى الخذف[1] فى حجة الوداع.

رواه الطبرانى فى التكبير، بسند، ورجاله رجال الصحيح.

قدركم تكون الحصاة، وما جنسها:

فى الحديث المتقدم: أن الحصى الذى يرمى به مثل حصى الخذف.

ولهذا ذهب أهل العلم إلى استحباب ذلك.

فإن تجاوزه ورمى بحجر كبير فقد قال الجمهور: يجزئه، ويكره.

وقال أحمد: لا يجزئه حتى يأتى بالحصى، على ما فعل النبى ﷺ، ولنهيه ﷺ عن ذلك.

---

(١) الخذف: الرمى. والمراد هنا الرمى بالحصى الصغار مثل حب الباقلاء، وهو الفول.

قال الأثرم: يكون أكبر من الحمص، ودون البندق.

فعن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدى، عن أمه قالت: سمعت النبى ﷺ - وهو فى بطن الوادى - وهو يقول: «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضًا، إذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف» رواه أبوداود.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال لى رسول الله ﷺ: «هات، ألقط لى، فلقطت له حصيات هى حصى الخذف، فلما وضعتهن فى يده قال: بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو فى الدين، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو فى الدين» رواه أحمد، والنسائى، وسنده حسن.

وحمل الجمهور هذه الأحاديث على الأولوية والندب.

واتفقوا: على أنه لا يجوز الرمى إلا بالحجر، وأنه لا يجوز بالحديد، أو الرصاص، ونحوهما.

وخالف فى ذلك الأحناف، فجوزوا الرمى بكل ما كان من جنس الأرض، حجراً، أو طينًا، أو آجراً، أو ترابًا، أو خزفًا.

لأن الأحاديث الواردة فى الرمى مطلقة.

وفعل رسول الله ﷺ وصحابته محمول على الأفضلية. لا على التخصيص.

ورجع الأول بأن النبى ﷺ رمى بالحصى، وأمر بالرمى بمثل حصى الخذف، فلا يتناول غير الحصى، ويتناول جميع أنواعه.

من أين يؤخذ الحصى:

كان ابن عمر رضى الله عنهما يأخذ الحصى من المزدلفة.

وفعله سعيد بن جبير وقال. يتزودّون الحصى منها واستحبه الشافعى.

وقال أحمد: خذ الحصى من حيث شئت.

وهو قول عطاء وابن المنذر.

لحديث ابن عباس المتقدم وفيه: «ألقط لى» ولم يعين مكان الالتقاط.

ويجوز الرمى بحصى أخذَ من المرمى مع الكراهة، عند الحنفية، والشافعى وأحمد.

وذهب ابن حزم إلى الجواز بدون كراهة.

فقال: ورمى الجمار بحصى قد رمى به قبل ذلك جائز، وكذلك رميها بحصى قد رمى به، فلأنه لم ينه عن ذلك قرآن ولا سنة.

عدد الحصى:

عدد الحصى الذى يرمى به، سبعون حصاة، أو تسع أوربعون.

سبع يرمى بها يوم النحر، عند جمرة العقبة.

وإحدى وعشرون فى اليوم الحادى عشر، موزعة على الجمرات الثلاث، ترمى جمرة منها بسبع.

وإحدى وعشرون يرمى بها كذلك فى اليوم الثانى عشر.

وإحدى وعشرون يرمى بها كذلك فى اليوم الثالث عشر.

فيكون عدد الحصى سبعين حصاة.

فإن اقتصر على الرمى فى الأيام الثلاثة، ولم يرم فى اليوم الثالث عشر جاز.

ويكون الحصى الذى يرميه الحاج تسعًا وأربعين.

ومذهب أحمد: إن رمى الحاج بخمس حصيات أجزأه.

وقال عطاء: إن رمى بخمس أجزأه.

وقال مجاهد: إن رمى بست، فلا شىء عليه.

وعن سعيد بن مالك قال: رجعنا فى الحجة مع النبى ﷺ، وبعضنا يقول: رميت ست حصيات، وبعضنا يقول: رميت سبع حصيات، فلم يعب بعضنا على بعض.

أيام الرمى:

أيام الرمى ثلاثة أو أربعة:

يوم النحر، ويومان، أو ثلاثة من أيام التشريق.

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣][(١)].

الرمى يوم النحر:

الوقت المختار للرمى، يوم النحر، وقت الضحى بعد طلوع الشمس.

فإن رسول الله ﷺ إنما رماها ضحى ذلك اليوم.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم النبى ﷺ ضَعفة أهله، وقال: «لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس» رواه الترمذى، وصححه.

فإن أخره إلى آخر النهار، جاز.

قال ابن عبد البر: أجمع أهل العلم: أن من رماها يوم النحر قبل المغيب فقد رماها، فى وقت لها، وإن لم يكن ذلك مستحبًا لها.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كان النبى ﷺ يسأل يوم النحر بمنى فقال رجل: رميت بعد ما أمسيت، فقال: «لا حرج» رواه البخارى.

(١) أى لا إثم على من تعجل، فنفر فى اليوم الثانى عشر، ولا على من أخر النفر، إلى اليوم الثالث عشر.

هل يجوز تأخير الرمى إلى الليل؟:

إذا كان فيه عذر يمنع الرمى نهاراً، جاز تأخير الرمى إلى الليل.

لما رواه مالك عن نافع: أن ابنة لصفية امرأة ابن عمر نفست بالمزدلفة، فتخلفت هى وصفية، حتى أتتا منى بعد أن غربت الشمس من يوم النحر، فأمرهما ابن عمر أن ترميا الجمرة حين قدمتا، ولم ير عليهما شيئًا.

أما إذا لم يكن فيه عذر فإنه يكره التأخير، ويرمى بالليل، ولا دم عليه عند الأحناف والشافعية، ورواية عن مالك، لحديث ابن عباس المتقدم.

وعند أحمد: إن أخر الرمى حتى انتهى يوم النحر فلا يرمى ليلاً، وإنما يرميها فى الغد بعد زوال الشمس.

الترخيص للضعفة وذوى الأعذار بالرمى بعد منتصف ليلة النحر:

لا يجوز لأحد أن يرمى قبل نصف الليل الأخير بالإجماع ويرخص للنساء، والصبيان، والضعفة، وذوى الأعذار، ورعاة الإبل: أن يرموا جمرة العقبة، من نصف ليلة النحر.

فعن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ أرسل أم سلمة ليلة النحر، فرمت قبل الفجر ثم أفاضت. رواه أبو داود، والبيهقى، وقال: إسناده صحيح لا غبار عليه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ رخص لرعاة الإبل أن يرموا .... بالليل. رواه البزار. وفيه مسلم بن خالد الزنجى، وهو ضعيف.

وعن عروة قال: دارَ النبى ﷺ إلى أم سلمة يوم النحر، فأمرها أن تعجل الإفاضة من جمع؛ حتى تأتى مكة، فتصلى بها الصبح، وكان يومها، فأحب أن ترافقه. رواه الشافعى والبيهقى.

عن عطاء قال: أخبرنى مخبر عن أسماء: أنها رمت الجمرة، قلت: إنا رمينا الجمرة بليل، قالت: إنا كنا نصنع هذا على عهد رسول الله ﷺ، رواه أبو داود.

قال الطبرى: استدل الشافعى بحديث أم سلمة، وحديث أسماء، على ما ذهب إليه من جواز الإفاضة بعد نصف الليل.

وذكر ابن حزم أن الإذن فى الرمى بالليل مخصوص بالنساء دون الرجال، ضعفاؤهم وأقوياؤهم فى عدم الإذن سواء.

والذى دل عليه الحديث: أن من كان ذا عذر جاز أن يتقدم ليلاً ويرمى ليلاً.

وقال ابن المنذر: السنة ألا يرمى إلا بعد طلوع الشمس، كما فعل النبى ﷺ.

ولا يجوز الرمى قبل طلوع الفجر: لأن فاعله مخالف للسنة.

ومن رماها حينئذ فلا إعادة عليه، إذ لا أعلم أحداً قال: لا يجزئه.

رمى الجمرة من فوقها:

عن الأسود قال: رأيت عمر رضى الله عنه رمى جمرة العقبة من فوقها.

وسئل عطاء عن الرمى من فوقها فقال: لا بأس، رواهما سعيد بن منصور.

الرمى فى الأيام الثلاثة:

الوقت المختار للرمى في الأيام الثلاثة يبتدئ من الزوال إلي الغروب.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ رمى الجمار عند زوال الشمس، أو بعد زوال الشمس.

رواه أحمد، وابن ماجة، والترمذى، وحسنه.

وروى البيهقى عن نافع: أن عبد الله بن عمر رضى الله

عنهما كان يقول: لا نرمى فى الأيام الثلاثة، حتى تزول الشمس.

فإن أخر الرمى إلى الليل، كره له ذلك، ورمى فى الليل إلى طلوع شمس الغد.

وهذا متفق عليه بين أئمة المذاهب، سوى أبى حنيفة، فإنه أجاز الرمى فى اليوم الثالث قبل الزوال.

لحديث ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إذا انتفخ النهار من يوم النفر الآخر، حل الرمى والصدر[1].

الوقوف والدعاء بعد الرمى فى أيام التشريق:

يستحب الوقوف بعد الرمى مستقبلاً القبلة، داعيًا الله، وحامداً له، مستغفراً لنفسه ولإخوانه المؤمنين.

لما رواه أحمد، والبخارى، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ، كان إذا رمى الجمرة الأولى، التى تلى المسجد، رماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ثم ينصرف، ذات اليسار إلى بطن الوادى، فيقف ويستقبل القبلة، رافعًا يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يرمى الثانية، بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم ينصرف ذات اليسار إلى بطن الوادى، فيقف ويستقبل القبلة، رافعًا يديه، ثم يمضى حتى يأتى الجمرة

(١) الانتفاخ: الارتفاع، الصدر: الانصراف من منى.

التى عند العقبة، فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة ثم ينصرف ولا يقف.

وفى الحديث أنه لا يقف بعد رمى جمرة العقبة، وإنما يقف بعد رمى الجمرتين الآخريين.

وقد وضع العلماء لذلك أصلاً فقالوا: إن كل رمى ليس بعده رمى فى ذلك اليوم لا يقف عنده، وكل رمى بعده رمى فى اليوم نفسه يقف عنده.

وروى ابن ماجة، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ كان إذا رمى جمرة العقبة، مضى ولم يقف.

الترتيب فى الرمى:

الثابت عن رسول الله ﷺ: أنه بدأ رمى الجمرة الأولى التى تلى منى. ثم الجمرة الوسطى التى تليها، ثم رمى جمرة العقبة.

وثبت عنه أنه قال: «خذوا عنى مناسككم».

فاستدل بهذا الأئمة الثلاثاة على اشتراط الترتيب بين الجمرات وأنها ترمى هكذا، مرتبة، كما فعل رسول الله ﷺ.

والمختار عند الأحناف: أن الترتيب سنة.

استحباب التكبير والدعاء مع كل حصاة ووضعها بين أصابعه

عن عبد الله بن مسعود، وابن عمر رضى الله عنهما: أنهما كانا يقولان - عند رمى جمرة العقبة - اللهم اجعله حجًا مبروراً وذنبًا مغفوراً.

وعن إبراهيم أنه قال: كانوا يحبون للرجل - إذا رمى جمرة العقبة - أن يقول: اللهم اجعله حجًا مبروراً وذنبًا مغفوراً.

فقيل له: تقول ذلك عند كل جمرة؟ قال: نعم.

وعن عطاء قال: إذا رميت فكبر، وأتبع الرمى التكبيرة.

روى ذلك سعيد بن منصور.

وفى حديث جابر رضى الله عنه عند مسلم: أن رسول الله ﷺ كان يكبر مع كل حصاة.

قال فى الفتح: واجمعوا. على أن من لم يكبر لا شىء عليه.

وعن سلمان بن الأحوص عن أمه: قالت: رأيت رسول الله ﷺ عند جمرة العقبة راكبًا، ورأيت بين أصابعه حجراً فرمى، ورمى الناس معه. رواه أبو داود.

النيابة فى الرمى:

من كان عنده عذر يمنعه من مباشرة الرمى، كالمرض ونحوه، استناب من يرمى عنه.

قال جابر رضى الله عنه حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان، ورمينا عنهم. رواه ابن ماجة.

المبيت بمنى:

البيات بمنى واجب فى الليالى الثلاثة، أو ليلتى الحادى عشر، والثانى عشر، عند الأئمة الثلاثة.

ويرى الأحناف أن البيات سنة.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: إذا رميت الجمار فبت حيث شئت. رواه ابن أبى شيبة.

وعن مجاهد: لا بأس بأن يكون أول الليل بمكة، وآخره بمنى، أو أول الليل بمنى، وآخره بمكة.

وقال ابن حزم: ومن لم يبت ليالى منى بمنى فقد أساء، ولا شىء عليه.

واتفقوا على أنه يسقط عن ذوى الأعذار كالسقاة ورعاة الإبل فلا يلزمهم بتركه شىء.

وقد استأذن العباس النبى ﷺ أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته، فأذن له. رواه البخارى وغيره.

وعن عاصم بن عدى إنه ﷺ رخص للرعاة أن يتركوا المبيت بمنى. رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذى.

متى يرجع من منى؟:

يرجع من منى، إلى مكة قبل غروب الشمس، من اليوم الثانى عشر بعد الرمى، عند الأئمة الثلاثة.

وعند الأحناف: يرجع إلي مكة ما لم يطلع الفجر من اليوم الثالث عشر من ذى الحجة.

لكن يكره النفر بعد الغروب، لمخالفة السنة ولا شىء عليه.

الهدى:

هو ما يهدى من النعم إلى الحرم تقربًا إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: «والبُدْنَ[1] جعلناها لكم من شعائر[2] الله، لكم فيها خير، فاذكروا اسم الله عليها صوافّ، فإذا وجبت جنوبها

---

(١) البدن: الإبل.

(٢) الشعائر: أعمال الحج، وكل ما جعل علمًا لطاعة الله.

فكلوا منها وأطعموا القانع[1] والمعتر[2] كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم».

وقال عمر رضى الله عنه: أهدوا، فإن الله يحب الهدى،

وأهدى رسول الله ﷺ مائة من الإبل، وكان هديه تطوعًا.

الأفضل فيه:

أجمع العلماء على أن الهدى لا يكون ألا من النعم(٣)، واتفقوا: على أن الأفضل الإبل، ثم البقر، ثم الغنم. على هذا الترتيب:

لأن الإبل أنفع للفقراء، لعظمها، والبقر أنفع من الشاة كذلك.

واختلفوا فى الأفضل للشخص الواحد:

هل يهدى سُبع بدنة، أو سُبع بقرة أو يهدى شاة؟ والظاهر أن الاعتبار بما هو أنفع للفقراء.

أقل ما يجزئ فى الهدى:

للمرء أن يهدى للحرم ما يشاء من النعم.

---

(١) القانع: أى السائل.

(٢) المعتر: الذى يتعرض لأكل اللحم.

(٣) والنعم: هى الإبل، والبقر، والغنم، والذكر أو الأنثى سواء في جواز الإهداء.

وقد أهدى رسول الله ﷺ مائة من الإبل وكان هديه هدى تطوع.

وأقل ما يجزئ عن الواحد شاة، أو سُبع بدنة أو سُبع بقرة، فإن البقرة، أو البدنة تجزئ عن سبعة.

قال جابر رضى الله عنه: حججنا مع رسول الله ﷺ فنحرنا البعير عن سبعة، والبقرة عن سبعة، رواه أحمد ومسلم.

ولا يشترط في الشركاء أن يكونوا جميعًا ممن يريدون القربة إلى الله تعالى.

بل لو أراد بعضهم التقرب، وأراد البعض اللحم جاز.

خلافًا للأحناف الذين يشترطون التقرب إلى الله، من جميع الشركاء.

متى تجب البدنة؟:

ولا تجب البدنة إلا إذا طاف للزيارة جنبًا، أو حائضًا، أو نفساء، أو جامَعَ بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق، أو نذر بدنة أو جزوراً.

ومن لم يجد بدنة فعليه أن يشترى سبع شياه.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ أتاه رجل

فقال: إن علىً بدنة، وأنا موسر بها. ولا أجدها فأشتريها، فأمره ﷺ أن يبتاع سبع شياه فيذبحهن. رواه أحمد، وابن ماجة بسند صحيح.

أقسامه:

ينقسم الهدى إلى مستحب، وواجب.

فالهدى المستحب: للحاج المفرد، والمعتمر المفرد.

والهدى الواجب، أقسامه كالأتى:

١، ٢- واجب على القارن، والمتمتع.

٣- واجب على من ترك واجبًا من وجبات الحج، كرمى الجمار والإحرام من الميقات والجمع بين الليل والنهار فى الوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، أو منى، أو ترك طواف الوداع.

٤- واجب على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام، غير الوطء، كالتطيب والحلق.

٥- واجب بالجناية على الحرم، كالتعرض لصيده، أو قطع شجرة.

وكل ذلك مبين فى موضعه كما تقدم.

شروط الهدى:

يشترط فى الهدى الشروط الآتية:

١- أن يكون ثنيًا، إذا كان من غير الضأن.

أما الضأن فإنه يجزئ منه الجذع فما فوقه.

وهو ما له ستة أشهر، وكان سمينًا.

والثنى من الإبل: ما له خمس سنين، ومن البقر: ما له سنتان، ومن المعز ما له سنة تامة.

فهذه يجزئ منها الثنى فما فوقه.

٢- أن يكون سليمًا، فلا تجزئ، فيه العوراء ولا العرجاء ولا الجرباء، ولا العجفاء[١].

وعن الحسن: أنهم قالوا: إذا اشترى الرجل البدنة، أو الأضحية، وهى وافية، فأصابها عور، أو عرج، أو عجف قبل يوم النحر فليذبحها وقد أجزأته. رواه سعيد بن منصور.

استحباب اختيار الهدى:

روى مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه: أنه كان يقول لبنيه: يا بنى لا يهد أحدكم الله تعالى من البدن شيئًا، يستحى أن يهديه لكريمه[٢]، فإن الله أكرم الكرماء وأحق من اختير له.

وروى سعيد بن منصور أن ابن عمر رضى الله عنهما سار

---

(١) العجفاء: الهزيلة.

(٢) لكريمه: أي لحبيبه المكرم العزيز لديه.

فيما بين مكة على ناقة بختية[1]، فقال لها: بخ بخ[2]، فأعجبته فنزل عنها. وأشعرها، وأهداها.

إشعار الهدى وتقليده:

الإشعار: هو أن يشق أحد جنبى سنام البدنة أو البقرة، إن كان لها سنام حتى يسيل دمها ويجعل ذلك علامة لكونها هديًا فلا يتعرض لها.

والتقليد: هو أن يجعل فى عنق الهدى قطعة جلد ونحوها ليعرف بها أنه هدى.

وقد أهدى رسول الله ﷺ مرة غنمًا، وقلدها.

وقد بعث بها مع أبي بكر رضى الله عنه عندما حج سنة تسع.

وثبت عنه: أنه ﷺ، قلد الهدى، وأشعره وأحرم بالعمرة وقت الحديبية.

وقد استحب الإشعار عامة العلماء، ما عدا أبا حنيفة.

الحكمة فى الإشعار والتقليد:

والحكمة فيها تعظيم شعائر الله، وإظهارها، وإعلام الناس

---

(١) البختية: الأنثى من الجمال.

(٢) بخ بخ: كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة، وبخبخت الرجل: إذا قلت له ذلك.

بأنها قرابين تُسَاقُ إلى بَيْته، تَذْبَحُ له ويُتقربُ بها إليه.

ركوب الهدى:

يجوز ركوب البُدنْ، والانتفاع بها.

لقول الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣].

قال الضحاك، وعطاء: المنافع فيها الركوب عليها إذا احتاج، وفى أوبارها وألبانها والأجل المسمى: أن تُقلد فتَصيرَ هَدْيًا.

ومحلها إلى البيت العتيق، قالا: يوم النحر ينحر بمنى.

وعن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال: اركبها. قال: إنها بدنة، فقال: اركبها ويلك: وفى الثانية، أو الثالثة. رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى.

وهذا مذهب أحمد، وإسحاق، ومشهور مذهب مالك.

قال الشافعى: يركبُها إذا اضْطُرَّ إليها.

وقت الذبح:

اختلف العلماء فى وقت ذبح الهدى.

فعند الشافعى: أن وقت ذبحه يوم النحر، وأيام التشريق لقوله ﷺ: «وكل أيام التشريق ذبحٌ» رواه أحمد.

فإن فات وقته، ذبح الهدى الواجب قضاء.

وعند مالك وأحمد، وقت ذبح الهدى - سواء أكان ذبح الهدى واجبًا، أم تطوُّعًا - أيام النحر.

وهذا رأى الأحناف بالنسبة لهدى التمتُّع والقران.

وأما دم النذر، والكفارات، والتطوع فيذبح فى أى وقت.

وحكى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، والنخعى. وقتها من يوم النحر، إلى آخر ذى الحجة.

مكان الذبح:

الهدى - سواء أكان واجبًا، أم تطوعًا - لا يذبح إلا فى الحرم وللمُهدى أن يذبح فى أى موضع منه.

فعن جابر رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كل منى منحر، وكل المزدلفة موقفٌ، وكل فجاج مكة طريق، ومنحر» رواه أبو داود، وابن ماجة.

والأولى بالنسبة للحاج، أن يذبح بمنى، وبالنسبة للمعتمر أن يذبح عند المروة، لأنها موضع تحلل كل منهما.

فعن مالك أنه بلغه: أن رسول الله ﷺ قال: - بمنى - هذا المنحر، وكل منى منحر، وفى العمرة هذا المنحر - يعنى المروة - وكل فجاج مكة وطرقها منحر.

استحباب نحر الإبل، وذبح غيرها:

يستحب أن تنحر الإبل، وهى قائمة، معقولة اليد اليسرى وذلك للأحاديث الآتية:

١- لما رواه مسلم، عن زياد بن جبير: أن ابن عمر رضى الله عنهما أتى على رجل، وهو ينحر بدنته باركة، فقال: ابعثها قيامًا مقيدة، سنة نبيكم ﷺ.

٢- وعن جابر رضى الله عنه: أن النبى ﷺ وأصحابه. كانوا ينحرون البدنة معقولة اليسرى، قائمة على ما بقى منها. رواه أبو داود.

٣- وعن ابن عباس رضى الله عنهما - فى قوله تعالى-:

«فاذكروا اسم الله عليها صواف» أى قيامًا على ثلاث. رواه الحاكم.

أما البقر، والغنم، فيستحب ذبحها مضطجعة.

فإن ذُبِحَ مَا ينحر، ونحر ما يُذبَحُ، قيل: يكره، وقيل: لا يُكرَهُ.

ويستحب أن يذبحها بنفسه، إن كان يحسن الذبح، وإلا فيندب له أن يشهده.

لا يعطى الجزار الأجرة من الهدى:

لا يجوز أن يعطى الجزار الأجرة من الهدى، ولا بأى بالتصدق عليه منه.

لقول على رضى الله عنه: أمرنى رسول الله ﷺ أن أقوم على بدنة، وأقسم جلودها وجلالها، وأمرنى ألا أعطى الجزار منها شيئًا، وقال: «نحن نعطيه من عندنا» رواه الجماعة.

وفى الحديث ما يدل على أنه يجوز أن ينيب عنه من يقوم بذبح هديه، وتقسيم لحمه، وجلده وجلاله[1].

وأنه لا يجوز أن يعطى الجزار منه شيئًا على معنى الأجرة.

ولكن يعطى أجرة عمله، بدليل قوله: «نعطيه من عندنا».

وروى عن الحسن أنه قال: لا بأس أن يعطى الجزار الجلد.

الأكل من لحوم الهدى:

أمر الله بالأكل من لحوم الهدى، فقال: «فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير».

---

(١) اتفق الأئمة: على عدم جواز بيع جلد الهدى، ولا شىء من أجزائه.

وهذا الأمر يتناول - بظاهره - هدى الواجب، وهدى التطوع.

وقد اختلف فقهاء الأمصار فى ذلك.

فذهب أبو حنيفة وأحمد: إلي جواز الأكل من هدى المتعة، وهدى القران، وهدى التطوع، ولا يأكل مما سواها.

وقال مالك: يأكل من الهدى الذى ساقه لفساد حجه، ولفوات الحج. ومن هدى المتمتع، ومن الهدى كله، إلا فدية الأذى، وجزاء الصيد. وما نذره للمساكين، وهدى التطوع، إذا عطب قبل محله.

وعند الشافعى: لا يجوز الأكل من الهدى الواجب مثل الدم الواجب، فى جزاء الصيد، وإفساد الحج وهدى التمتع والقران، وكذلك ما كان نذراً أوجبه على نفسه.

أما ما كان تطوعًا، فله أن يأكل منه ويهدى، ويتصدق.

مقدار ما يأكله من الهدى:

للمهدى أن يأكل من هديه الذى يباح له الأكل منه أى مقدار يشاء أن يأكله، بلا تحديد.

وله كذلك أن يهدى أو يتصدق بما يراه.

وقيل: يأكل النصف أو يتصدق بالنصف.

وقيل: يقسمه أثلاثًا، فأكل الثلث، ويهدى الثلث، ويتصدق بالثلث.

هذه أحكام الهدى كما بينها فقهاء السلف ولما كان عدد الحجاج يزداد بمرور السنين ويترتب على ذلك أن يكثر عدد الذبائح المنحورة ولا يستفاد بها فأفتى الفقهاء المعاصرون بجواز إعطاء ثمن الهدى إلى الهيئات المتخصصة لتقوم نيابة عن الحاج بشراء الهدى وذبحه وتجميده وإرساله لفقراء العالم الإسلامى.

الحلق أو التقصير

ثبت الحلق والتقصير بالكتاب، والسنة والإجماع.

قال الله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون».

وروى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: «رحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: رحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: رحم الله المحلقين. قالوا: المقصرين يا رسول الله؟ قال والمقصرين»[1].

وروى عنه: أن النبى ﷺ حلق، وحلق طائفة من أصحابه، وقصر بعضهم.

---

(١) قيل: فى سبب تكرار الدعاء للمحلقين وهو الحث عليه، والتأكيد لندبته، لأنه أبلغ في العبادة، وأدل على صدق النية فى التذلل لله، لأن المقصر مبق لنفسه من الزينة، ثم جعل للمقصرين نصيبًا لئلا يخيب أحد من أمته من صالح دعوته.

والمقصود بالحلق إزالة شعر الرأس بالموسى ونحوه، أو بالنتف.

ولو اقتصر على ثلاث شعرات جاز.

والمراد بالتقصير أن يأخذ من شعر الرأس قدر الأنملة[1].

وقد اختلف جمهور الفقهاء في حكمه.

فذهب أكثرهم: إلى أنه واجب، يجبر تركه بدم.

وذهبت الشافعية: إلى أنه ركن من أركان الحج.

وقته:

وقته للحاج بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر.

فإذا كان معه هدى حلق بعد الذبح.

ففى حديث معمر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه بمنى قال: أمرنى أن أحلقه.

رواه أحمد والطبرانى.

ووقته فى العمرة بعد أن يفرغ من السعى، بين الصفا والمروة، ولمن معه هدى بعد ذبحه.

ويجب أن يكون فى الحرم، وفى أيام النحر عند أبى حنيفة، ومالك، ورواية عن أحمد، للحديث المتقدم.

(١) واختار ابن المنذر أنه يجزئه ما يقع عليه اسم التقصير، لتناول اللفظ له.

وعند الشافعى ومحمد بن الحسن، والمشهور من مذهب أحمد: يجب أن يكون الحلق أو التقصير بالحرم دون أيام النحر.

فإن أخر الحلق عن أيام النحر جاز ولا شىء عليه.

ما يستحب فيه:

يستحبُّ فى الحلق أن يبدأ بالشقِّ الأيمن، ثم الأيسر ويستقبل القبلة، ويكبِّر ويصلى بعد الفراغ منه.

قال وكيع: قال أبو حنيفة: أخطأت، فى خمسة أبواب من المناسك.

وذلك أنى حين أردت أن أحلق رأسى وقفت على حجام، فقلت له بكم تحلق رأسى؟ فقال أعراقى أنت؟ قلت: نعم. قال: النسك لا يشارط عليه. اجلس، فجلست منحرفًا عن القبلة، فقال لى: حرك وجهك إلى القبلة. وأردت أن أحلق رأسى من الجانب الأيسر، فقال: أدر الشق الأيمن من رأسك، فأدرته، وجعل يحلق وأنا ساكت، فقال لى: كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب، فقال لى: أين تريد؟ فقلت: رحلى. قال صل ركعتين ثم أمض، فقلت: ما ينبغى أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام، فقلت له: من أين لك ما أمرتنى به، قال: رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل هذا. ذكره المحب الطبرى.

استحباب إمرار الموسى على رأس الأصلع:

ذهب جمهور العلماء: إلى أنه يستحب للأصلع الذى لا شعر على رأسه أن يمر الموسى على رأسه.

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم: على أن الأصلع يمر الموسى على رأسه.

وقال أبو حنيفة: إن إمرار الموسى على رأسه واجب.

استحباب تقليم الأظفار والأخذ من الشارب:

يستحب لمن حلق شعره أو قصره: أن يأخذ من شاربه ويقلم أظافره.

فقد كان ابن عمر رضى الله عنهما، إذا حلق فى حج أو عمرة، أخذ من لحيته وشاربه.

وقال ابن المنذر: ثبت أن رسول الله ﷺ، لما حلق رأسه قلم أظفاره.

أمر المرأة بالتقصير ونهيها عن الحلق:

روى أبو داود وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على النساء حلق وإنما على النساء التقصير» حسنه الحافظ.

قال ابن المنذر: أجمع على هذا أهل العلم، وذك لأن الحلق فى حقهن مثله.

القدر الذى تأخذه المرأة من رأسها :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: المرأة إذا أرادت أن تقصر جمعت شعرها إلى مفدم رأسها ثم أخذت منه أنملة.

وقال عطاء: إذا قصرت المرأة شعرها تأخذ من أطرافه، من طويلة وقصيرة. رواهما سعيد بن منصور.

وقيل: لا حد لما تأخذه المرأة من شعرها.

وقالت الشافعية: أقل ما يجزئ، ثلاث شعرات.

طواف الإفاضة

أجمع المسلمون على أن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج وأن الحاج إذا لم يفعله بطل حجُّه.

لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

ولابد من تعيين النيَّة له، عند أحمد.

والأئمة الثلاثة: يرون أن نية الحج تسرى عليه، وأنه يصح من الحاج ويجزئه، وإن لم ينوه نفسه.

وجمهور العلماء: يرى أنه سبعة أشواط.

ويرى أبو حنيفة: أن ركن الحج من ذلك أربعة أشواط، لو تركها الحاج بطل حجه.

وأما الثلاثة الباقية فهى واجبة، وليست بركن.

ولو ترك الحاجُّ هذه الثلاثة، أو واحداً منها، فقد ترك واجبًا، ولم يبطل حجُّه. وعليه دم.

وقته:

وأول وقته نصف الليل، من ليلة النحر، عند الشافعى، وأحمد ولا حد لآخره، ولكن لا تحل له النساء حتى يطوف.

ولا يجب بتأخيره - عن أيام التشريق - دم وإن كان يكره له ذلك.

وأفضل وقت يؤدى فيه، ضَحْوة النهار، يوم النحر.

وعند أبى حنيفة وما لك: أن وقته يدخل بطلوع فجر يوم النحر.

واختلفا فى آخر وقته.

فعند أبى حنيفة: يجب فعله فى أي يوم من أيام النحر، فإن أخره لزمه دم.

وقال مالك: لا بأس بتأخيره إلى آخر أيام التشريق، وتعجيله أفضل.

ويمتد وقته إلى آخر شهر ذى الحجة، فإن أخره عن ذلك لزمه دم وصح حجه، لأن جميع ذى الحجة عنده من أشهر الحج.

تعجيل الإفاضة للنساء:

يستحب تعجيل الإفاضة للنساء يوم النحر إذا كنَّ يخَفنَ مبادرة الحَيض.

وكانت عائشة تأمر النساء بتعجيل الإفاضة يوم النحر، مخافة الحيض.

موجز لأيام الحج

ماذا تفعل إذا قصدت مكة لأداء النسك؟

١- إذا قاربت الميقات فاستعد للإحرام واغتسل إذا أمكنك وإلا فتوضأ والبس ملابس الإحرام وصل ركعتين.

٢- إذا أردت الحج والعمرة معًا فانوهما معًا. أو الحج وحده فانو الحج. أو العمرة فقط فانو العمرة.

٣- حافظ على التلبية قدر الإمكان.

٤- إذا وصلت إلى المسجد الحرام فأدخله من باب السلام إذا تيسر وإلا فادخل من أى باب كان وطف سبعة أشواط حول الكعبة (طواف القدوم).

٥- فإن هممت بالسعى فابدأ بالصفا واختتم بالمروة سبعة أشواط.

٦- عليك بالحلق أو التقصير إن كنت متمتعًا - أى ناويًا العمرة فقط - ثم اخلع ملابس الاحرام، والبس ملابسك المعتادة وحينئذ يباح لك كل شىء من محظورات الاحرام، أما إذا كنت قد نويت الحج أو الحج والعمرة معًا فلا تحلق ولا تقصر بل استمر فى

ملابس الإحرام حتى تتم مناسك الحج.

ماذا تفعل فى اليوم الثامن من ذى الحجة؟

يسن لك التوجه إلى منى والمبيت بها قبل ذهابك إلي عرفات إن أمكن ذلك وإلا فاذهب إلى عرفات مباشرة.

ماذا تفعل فى اليوم التاسع من ذى الحجة؟

١- احرص على أن تكون موجوداً فى عرفات قبل غروب شمس اليوم التاسع على الأقل.

٢- يسن أن تصلى الظهر والعصر جمع تقديم قصراً بمسجد نمرة إن أمكنك ذلك، وبعد الغروب تترك عرفات إلى المزدلفة وتصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير قصراً.

ماذا تفعل فى اليوم العاشر؟ (يوم العيد)

تكون فى منى، وأعمال هذا اليوم:

١- رمى جمرة العقبة.

٢- إن كنت متمتعًا أو قارنًا فيلزمك ذبح الهدى.

٣- احلق شعر رأسك أو قص منه بعض شعرات ثم البس ملابسك المعتادة ولكن لا تقرب زوجتك إن كانت معك.

٤- إن تيسير لك التوجه فى هذا اليوم إلى مكة لتطوف طواف الإفاضة فتكون قد تحللت التحلل الثانى وبه يباح لك كل شىء من محظورات الإحرام وعد لتبيت فى منى وإلا فامكث فى منى حتى تتم أعمال الرمى - لاحظ أن معنى المبيت بمنى قضاء معظم الليل بها وهو واجب عند غير أبى حنيفة أما عنده فسنة.

ماذا تفعل فى اليوم الحادى عشر ؟:

ترمى الجمار الثلاث بالترتيب الآتى:

١- الجمرة الصغرى.

٢- الجمرة الوسطى.

٣- جمرة العقبة.

ماذا تفعل فى اليوم الثانى عشر ؟:

١- ترمى الجمرات الثلاث كما فعلت فى اليوم الحادى عشر ولك فى هذا اليوم بعد الرمى أن تترك منى لكن قبل الغروب فإن غربت الشمس عليك بها فلا بد أن تبيت وترمى الجمرات فى اليوم الثالث عشر.

٢- حين تنزل إلى مكة يجب عليك أن تطوف طواف الإفاضة وتسعى إن لم تكن قد نزلت إليها وطفت وسعيت يوم العيد وإلا فلا يجب عليك شىء وبذلك تكون قد أتممت أعمال الحج.

وإن لم تكن قد نويت عمرة من قبل وأردت أن تؤديها بعد الانتهاء من الحج فعليك بالخروج إلى أدنى الحل والإحرام بها من هناك.

طواف الوداع

طواف الوداع، سُمِّي بهذا الاسم، لأنه لتوديع البيت، ويطلق عليه طواف الصدر، لأنه عند صدور الناس من مكة، وهو طواف لا رَمَل فيه.

وهو آخر ما يفعله الحاج الغير المكي[1] عند إرادة السفر من مكة.

روى مالك فى الموطأ عن عمر رضى الله عنه أنه قال: «آخر النسك الطواف بالبيت»[2].

أما المكى والحائض، فإنه لا يشرع فى حقهما، ولا يلزم بتركهما له شيء.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «رخَّص للحائض أن تنفر إذا حاضت» رواه البخارى ومسلم.

---

(١) أما المكى فإنه مقيم بمكة، وملازم لها، فلا وداع بالنسبة له.

(٢) قال فى الروضة الندية: قال فى الحجة: والسر فيه تعظيم البيت، فيكون هو الأول وهو الآخر، تصويراً لكونه هو المقصود من السفر.

وفى رواية قال: «أُمِرَ الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفّف عن المرأة الحائض».

وروى عن صفية زوج النبى ﷺ: أنها حاضت فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: «أحابستنا هى»؟ فقالوا: إنها قد أفاضت. قال: «فلا إذا».

حكمه:

اتفق العلماء: على أنه مشروع.

لما رواه مسلم وأبو داود، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان الناس ينصرفون فى كل وجه. فقال النبى ﷺ: «لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده فى البيت».

واختلفوا فى حكمه: فقال مالك، وداود، وابن المنذر: إنه سنة، لا يجب بتركه شىء. وهو قول الشافعى.

وقالت الأحناف، والحنابلة، ورواية عن الشافعى: إنه واجب، يلزمُ بتركه دم.

وقته:

وقت طواف الوداع، بعد أن يفرغ المرء من جميع أعماله، ويريد السفر، ليكون آخر عهده بالبيت. كما تقدم فى الحديث.

فإذا طاف الحاجُّ سافر توًا[1] دون أن يشتغل ببيع أو بشراء ولا يقيم زمنًا.

فإن فعل شيئًا من ذلك، أعاده.

اللهم إلا إذا قضى حاجة فى طريقه، أو اشترى شيئًا لا غنى له عنه من طعام، فلا يعيد لذلك.

لأن هذا لا يخرجه عن أن يكون آخر عهده بالبيت.

ويستحب للمودع أن يدعو بالمأثور عن ابن عباس رضى الله عنهما. وهو:

«اللهم إنى عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك، وسترتنى فى بلادك حتى بلغتنى - بنعمتك - إلى بيتك، وأعنتنى على أداء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضًا، وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى. فهذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك، ولا راغب عنك، ولا عن بيتك. اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى، والصحة فى جسمى».

---

(١) توًا: أى فوراً.

نصائح طيبة للحجاج

كتبها الدكتور الحاج محمد أبو شوك. رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى فى الكويت.

قبل السفر :

١- على كل من يرغب فى الحج أن يعرض نفسه على الطبيب، ليعرف مدى امكانيته على تحمل أعباء السفر والحج. خصوصا اذا كان ذاهبا بطريق البر. وعليه أن لا يسافر لو منعه الطبيب، فمعنى ذلك أنه لا يستطيع جسمانيا والحج لمن استطاع إليه سبيلا.

٢- إذا تقرر سفره فليبادر بالتطعيم ضد الجدرى، والكوليرا، ولا يتهاون فى ذلك حفظا على سلامته.

٣- سيكون الحج هذا العام فى أيام الشتاء فاحرص على أن تأخذ معك ملابس صوفية، ولا تعرض نفسك للبرد القارس، أثناء الطريق.

٤- خذ معك بعض المعلبات، لاستعمالها أثناء السفر.

٥- إذا كنت مسنا، فلا تسافر بطريق البر، فان هذا مشقة عليك ولا تأخذ معك أطفالا، ولانساء حوامل فى شهرها الأول أو الأخيرة فإن عناء السفر الشديد.

أثناء السفر :

١- النظافة من الايمان فاجعلها دائما فى كل شئ فى مأكلك، وملبسك، وشرابك ولا تتناول طعاما خارج منزلك. إلا فى المطاعم المعروفة بنظافتها، وكل ما أخذت من المعلبات.

٢- الماء تأكد أن مصدره صحى، وإذا لم تتأكد، فضع عليه مطهرا، وخذه من البعثة الطبية.

٣- التحف جيدا أثناء الليل، خصوصا إذا كان الجو باردا، لكى لا تصاب بنوبة برد، أو آلام فى عضلاتك.

٤- ابتعد عن كل من يصاب بالزكام، لكى لا تصاب مثله، واذا أصبت فلا تتهاون فى ذلك، واعرض نفسك على طبيب البعثة.

٥- إذا كنت ممن يتناولون الدواء. للسكر، أو لارتفاع ضغط الدم، فداوم على استعمال الدواء، والطعام الخاص أثناء السفر، وأيام الحج، وأثناء العودة، وخذ معك الدواء الذى يكفيك، واعرض نفسك على طبيب البعثة لتستشيره فى أى عرض تحس به.

أيام الحج :

١- كن معتدلا فى كل شئ، فخير الامور الوسط، ولا تجهد نفسك، وتعرضها للخطر، بحجة أنك تكسب ثوابا أكبر.

٢- لا تأكل إلا فى المحلات النظيفة وابتعد عن شراء المأكولات من الطريق.

٣- لا تسرف فى أكل اللحوم، فلقد لوحظ أن معظم الاسهال يكون نتيجة لها. وكل الفواكه الطازجة بكثرة - ولا تسرف فى الطعام والشراب، وإذا حدث لك اسهال، أو قئ، فسارع إلى مقر البعثة للعلاج.

٤- إذا كان الجو حارا، وكنت تعرق بكثرة، فأكثر من الملح فى طعامك، أو تعاطى (أقراص الملح).

٥- إذا أصبت بالزكام فسارع إلى علاجها، وإذا ارتفعت درجة حرارتك فابق فى مسكنك يوما، أو يومين لكى لا تتعرض للمضاعفات، كالتهاب الشعب الهوائية، والالتهاب الرئوى، وما يصحبها من سعال، وإذا لا قدر الله أصبت بذلك، فسارع إلى مقر البعثة للعلاج.

٦- عصير الليمون وعصير البرتقال الطازج، يعطيك كمية من فيتامين (ث) الهام فى هذه الحالات.

٧- لا تتكدس أنت ومن معك فى الخيمة. لكى لا تجعلوا مجالا كبيرا للعدوى، بالأمراض المختلفة.

٨- ديننا يسر لا عسر، فلا تجهد نفسك بالصعود إلى قمم

الجبال العالية أو السير كثيرا على قدميك، أو التعرض لأشعة الشمس المحرقة، ظنا منك أنك تأخذ أجرا أكثر على ذلك فالله يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ويقول (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها).

٩- لاتتهاون إذا أصبت بأى مرض وأعرض نفسك على الطبيب، قبل أن يستفحل مرضك، أو تحدث لك مضاعفات.

١٠- لا تذبح وأنت بمنى فى الطرقات. أو بجوار خيمتك، فإن هذا يعرضك، ومن معك للأمراض. والرائحة الكهربهة، واذبح فى الاماكن المخصصة للذبح.

كن حذرا، كن نظيفا، كن معتدلا فى كل شئ والله يحفظك برعايته.

وأتمنى لك حجا مبرورا، وذنبا مغفور. وسفرا مريحا، واقامة سعيدة، وعودا بسلامة الله إلى وطنك وأهلك.

من أحسن ماكتب عن الحج

دليل الحاج

ياعازمين على الحج، يا من يشد الرحال، ويعد الاحمال، ليصل إلى فناء الحرم، ويقوم عند الملتزم، ويشرب من ماء زمزم...

قفوا قليلا، فاستمعوا منى كلمة، ثم امضوا على بركة الله... انكم ما حملتم مشاق السفر، ولا رضيتم بفراق الاهل، ولا انفقتم هذا المال، الا ابتغاء ثواب الله، وادخارا من الحسنات ليوم الحساب، فهل علمتهم قبل ان تمشوا أن الحج حجان: حج مبرور وردت الاحاديث الصحاح بأنه ليس له ثواب إلا الجنة، وان صاحبه يرجع منه كيوم ولدته أمه.

وحج ما فيه إلا انفاق المال وارهاق الجسد، وفراق العيال. فماذا تعملون ليرفع الله حجكم إليه، ولا يرده عليكم، فيضرب به وجوهكم. أن أقول لكم : هل ترتفع الطيارة إذا أثقلتها بالحديد، وحملتها أضعاف ما تطيق، ثم ربطتها بحبال الفولاذ إلى صخور الجبل؟

إنها لا ترتفع إلا إذا خففت أحمالها، وقطعت عنها حبالها وكذلك الاعمال فإذا أردتم أن يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم

اثقال الذنوب، واقطعوا الحبال التى توثقكم بأرض الشهوات، أو حلوها.

فأقعد يا أخى الحاج وحدك، واحصر فكرك قبل ان تخطو أو لخطوة فى طريق الحج، وحاسب نفسك، وانظر فى حياتك فى بيتك، وصلاتك بأهلك، وروابطك بأصحابك، وسولكك فى (وظيفتك)[1] أو تجارتك وفى مصادر ثروتك. وطرق انفاقك، فكر فيها كلها، وقسها بمقياس الشرع، فما وجدته منها محرما فتب منه، واستسمح أصحابه قبل أن تمضى إلى الحج.

انظر هل أنت تارك لفريضة من الفرائض؟ هل أنت مرتكب لمحرم من المحرمات؟ هل أسأت رعاية من استرعاك الله أمره من أهلك وولدك؟ هل أنت ظالم لزوجتك قد كرهت إليها بسوء معاملتك عيشها، أو أنت منقاد إليها تتبع رغباتها التى تغضب ربها؟ هل رضيت بترك أولادك الصلاة؟ هل وضعتهم فى مدارس غير المسلمين؟ هل أكلت مال احد، أو تعديت عليه؟ هل لاحد فى ذمتك دين لم تقضه، أو حق لم تسدده؟ هل تقصر فى عمل الوظيفة أن كنت موظفا؟ هل تأخذ الرشوة؟ هل تعامل الناس بالربا أن كنت تاجرا؟ هل تعقد عقودا مخالفة للشرع؟ انظر فى

(١) الوظيفة فى اللغة الراتب ولكنى أستعملتها بالمعنى الذى يفهمه الناس.

هذا كله وأمثاله، فتب منه، وليس يكفى أن تعزم على ترك الذنب بقلبك، أو أن تعلنه بلسانك، بل أن تتخذ الاسباب لذلك.

فان كنت تتعامل بالربا، واردت أن تتوب منه، وألاتعود إليه. فصف حساب عملائه، واقطع صلاتك بهم. وخذ رأس مالك ودع موارد الربا، ولا يغررك أن الربا سمىَ بـ(الفائدة) فلقد ورد أن الناس فى آخر الزمان يسمون المحرمات بغير اسمائها ليستحلوها.

وان كنت تتكسب من عمل محرم، كأن تكون عاملا فى ناد يسقى الخمر، ويجمع الجنسين، أو فى مصرف يرابى وأنت تشتغل فيه كاتبا للربا. أو كنت فى مؤسسة أو مصلحة تنشر الالحاد، أو تؤذى المسلمين وأردت أن تتوب، ففتش لنفسك عن عمل آخر، والا لم تنفعك توبتك عنه وأنت ملازم له.

واعلم أن الله هو الرازق، وأن من يتق الله لا من يعصه يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب. وكذلك الحال فى كل محرم.

ثم دبر أمورك وأمور عيالك فى غيبتك، لتريح بالك منها، فلا تفكر فيها وأنت فى الحج. فتعطى أهلك من النفقة ما يكفيهم فى غيابك، وتوكل بهم من يقوم بأمرهم إلى حين عودتك، وتعهد بعملك إلى من تثق به، وتعتمد بعد الله عليه،

واعلم يا أخى الحاج، أن الحج غسل للقلب من أوضار الذنوب، فهل يغسل أحد جسده من الأوساخ بالماء الوسخ؟ فكيف إذن تبغى أن تتخلص بالحج من تبعات الحرام. إذا كان حجك بمال حرام؟ إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا. فليكن أول ما تصنعه أن تعقد لنفقات حجك مالا حلالاً.

لا أريد بالمال الحلال أن يكون خاليا من كل شبهة فلقد ذكر العلماء من قرون طوال أن ذلك كان كالمتعذر فى أزمانهم، فكيف بزماننا؟ ولكن أريد الا يكون المال الذى اعددته للحج، مالا ظاهر الحرمة، كأن يكون مغصوبا أو متحصلا من الربا، أو من مهنة يحرمها الشرع كالاتجار بالخمر. أو زراعة الحشيش، أو نشر الكتب والمجلات المفسدة للدين وللأخلاق.

المال الحرام ردوه إلى أصحابه الذين أخذ منهم ظلما. فهذا أفضل من الحج، ثم أن وجدتم بعد ذلك ما تحجون به من المال الحلال. وإلا فانتظروا حتى يبعثه الله إليكم فتحجوا.

ومن كان منكم موسرا فليحمل معه ما يزيد عن نفقات حجه، ونفقات أهله فى غيابه، ولينو بذلك مساعدة المحتاج واسعاف المنقطع، لا يوزعه على الشحاذين الذين اتخذوا السؤال حرفة، ولعل فيهم من هو غنى ، بل يعطى من يثق بحاجته، ومن يكون عفيفا، فيظنه الناس من عفته وابائه غنيا وهو فى أشد الفقر.

امثال هؤلاء فاعطوهم، وإذا لم تعرفوهم فأسألوا عنهم من تثقون به من أفاضل أهل الحرمين.

الرفيق قبل الطريق:

واعلموا أن على السنة الناس أقوالا سائرة يلقونها، لا يفكرون بمعناها، وكأنها من كثرة الترداد قد صارت الفاظا بلا معان، وهى ثمرة تجارب بشرية طويلة، منها قولهم (الرفيق قبل الطريق).

وأولى سفرة باختيار الرفيق الصالح سفرة الحج، ورب رفيق حججت معه فاستفدت منه علمه، وأسترحت إلى حلمه، وأطمأننت إلى أمانته، ورب رفيق نغص عليك حجتك، وأضاع عليك ثوابك.

رفيق يجعل الحج مردودا مرفوضا، ورفيق يجعله مبرورا مقبولا. فاختر لك رفيقا عالما بالمناسك، فان لم تجد فخذ كتابا من كتب المناسك لعالم موثوق به، ولا تركن إلى هذه الكتب التى يؤلفها من ليسوا بعلماء، ولو رأيت الإعلان عنها، والدعوة إليها، فإن فيها خطأ كثيرا، ولا تأخذ كلام المطوفين قضية مسلمة فإن اكثرهم من غير العلماء، ولا تقبل من كل من يتكلم فى العلم. فربما تلكم فى العلم فى زماننا، وتصدر للافتاء من ليس بعالم ولا بطالب علم.

فإذا أعددتم المال الحلال، وانتقيتم الرفيق الصالح، وتبتم من ذنوبكم، وأديتم الحقوق التى عليكم، فاخلوا أذهانكم من هموم العيش وخلفوها وراءكم، وفرغوا قلوبكم ما استطعتم لربكم، فانكم تفكرون فى الدنيا العمر كله، ففكروا فى الآخرة هذه الايام فقط، وتعملون طول حياتكم لما لا ينفعكم بعد موتكم، فاعملوا هذه الايام فقط لما يبقى لكم، ويفيدكم يوم العرض على ربكم.

يا أخوتى الحجاج

أنكم تقومون للصلاة، تنظرون إلى مسير الشمس فى النهار، وتبحثون عن نجم القطب فى الليل، وتضعون (البوصلة) أمامكم وتستحضرون موقع البلد فى أذهانكم لتعرفوا أين تقع الكعبة، فتجعلوها قبلتكم فى صلاتكم. وبينكم وبينها الابعاد والآماد وبينكم وبينها الصحارى والبحار. والجبال والانهار، لا يمنعكم بعدها ولا تصدكم العوائق دونها، عن أن تتوجهوا إليها بأجسادكم وقلوبكم، وأن تتصوروها على الغيبة، وتحنوا إليها على البعد، فها أنتم هؤلاء تمشون إليها كما يمشى المحب إلى لقاء المحبوب، ودونه الحجب والاستار، فكلما جزتم إليها بادية، أو ركبتم بحرا، رفع لكم من دونها حجاب، وكلما دنوتم منها شبرا، رفع لكم ستر، حتى وصلتم إلى (المواقيت).

لباسه الرسمى:

هذى مواقيت الحرم يا حجاج فقوا، هذه أعتاب ديار المحبوب، هذه مشارف بيت المليك، إن من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا، يلبس للمقابلة لباسها الرسمى ، وهذه أبواب حضرة ملك الملوك، رب العالمين، فاخلعوا عن أجسادكم ثياب الدنيا، والبسوا للنسك لباسه الرسمى.

البسوا ثياب الاحرام، التى لا يمتاز فيها غنى عن فقير، ولا أمير من أجير، وانزعوا معها حب الدنيا وانزعوا مشاغلها ومشاكلهاعن قلوبكم، واغسلوا بالماء أجسادكم، واغسلوا بتجديد التوبة نفوسكم، وانووا إما الحج وحده، وإما العمرة والحج مقرونين، تدخلون بالعمرة فتطوفون وتسعون وتبقون محرمين إلى انتهاء أعمال الحج، وأما العمرة وحدها فإذا أكملتم مناسكها (أى طفتم وسعيتم) حلقتم ولبستم ثيابكم وحللتم، ثم احرمتم بالحج يوم الحج، والأول هو الافراد، والثانى القران، والثالث التمتع، وكل ما تنوون حسن، وكل من الثلاثة هو الافضل فى أحد المذاهب، وان كان التمتع هو آخر ما أمر رسول الله ﷺ والعمل به أولى .

أجيبوا داعى الله:

ثم اصغوا تسمعوا صوت الشرع فى قلوبكم يأمركم بالتوحيد

واخلاص العبادة لله، واتباع سبل الخير، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر، اسمعوا اوامر الله فى آيات كتابه وأقوال نبيه، فإذا تمثلت لآذهانكم، فأجيبوا بألسنتكم وبقلوبكم:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

لبيك أمرتنا فأطعنا، ونهيتنا فاجتنبنا، فأعنا اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فإنا لا نستطيع أن نقوم بها بغير معونتك، لا شريك لك فتطلب منه، ولا إله سواك، فنفر إليه، لقد فررنا إليك، وجئنا قاصدين بيتك، فهل تردنا عن بابك خائبين، وأنت أكرم الاكرمين؟

هذه يا حجاج مواقيت الحرم (آبار على) على أبواب المدينة، و(الجحفة) عندك رابغ (وقرن) عند السيل الكبير. ووادى محرم قرب الطائف، (ويلملم) فى الجنوب الشرقى من مكة...

هذه حدود منزل الوحى، لقد جزتموها الآن محرمين، فجدوا السير، واحدوا المطى أو استحثوا سائق السيارة.

لقد دنوتم الآن من الحرم، اتعرفون يا أخوان ما الحرم؟

هنا دار السلام إن عمت الارض الحروب. هنا دار الأمن إن شمل الناس الخوف.

كل حى ها هنا آمن، الناس والحيوان والنبات، ليس ها هنا حرب ولا قتال، الحيوان ها هنا لا يصاد، والاشجار لا تقطع لاعدوان على أحد، ولا تجاوز على شئ.

هذه حدود الحرم ألا ترون أعلامها؟

لقد أقام هذه العلامات أبو الانبياء إبرايهم ، وبقيت حيث أقامها. لقد دخلتم الآن الحرم، فجددوا التلبية واجهروا بها، وقولوا بقلوبكم مع ألسنتكم.

لبيك اللهم، قد دعوتنا فأجبنا، سمعنا الموذن يؤذن بالحج فجئنا رجالا وعلى كل ضامر، أتينا من مكان بعيد، نجزع الأرض، نطوى البيد، نركب الريح، ونمتطى اللجج، امتثالا لأمرك، وابتغاء رضاك.

لبوا يا حجاج، وأجهروا بالتلبية، لبوا عند كل رابية وجبل، تلب مكم الروابى والجبال، لبوا كلما صعدتم نشزا، لبوا كلما هبطتم واديا، لبوا فهذه جبال مكة، بدت لكم

لقد وصلتم، لم يبق إلا قليل، فجدوا المسير.

هذه مكة فادخلوها من أعلاها، من جهة ذى طوى (حى الزاهر) ثم اهبطوا من الحجون، من عند المقبرة، فمن هناك دخلها رسول الله ﷺ، ثم أمشوا من عند المسعى حتى تدخلوا من بابا السلام (باب بنى شيبه).

لقد زالت الحجب حجابا بعد حجاب، وتقاربت الابعاد ساعة بعد ساعة، حتى بلغتم الأرب فنسيتم التعب، فهنيئًا لكم، نلتم المرام، هذا باب السلام وهذه زمزم، وهذا المقام، وهذه الكعبه البيت الحرام.

فلبوا وهللوا، وادعوا فإن دعاء المسلم أول ما يرى الكعبه مستجاب هذا هو المشهد الذى قطعتم من أجل رؤيته الآفاق، وحملتم المشاق، إنى لن انسى يوم وقفت هذا الموقف أول لمرة، من احدى وثلاثين سنة، لقد سلكنا الصحارى من دمشق، فكنا كلما دنونا يوما زاد الشوق بنا شهرا. حتى تمنيت أن تطوى لى الأرض، وان يتصرم الزمن.

وأكثر ما يكون الشوق يوما

إذا دنت الخيام من الخيام

حتى إذا وقفت على باب السلام صفق من الفرحة القلب، وبكت من السرور العين، فما رأيت الكعبة إلا خلال الدموع.

هذه دارهم وأنت مـــــحب

ما بقاء الدموع فى الآماق!

انى لا أتمنى إلا أمنية واحدة، هى أن انسى هذا المشهد لأستمتع برؤيته من جديد. هذه مكافأة الحاج إنها لذة من لذائذ الروح لا مثيل لها، فأشبهه بها لأدل عليها من لم يعرفها.

لذة لا يدرك مداها إلا من ذاقها، لذة لا توصف ولا تعرف.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

أسأل الله أن يمن بذلك على كل راغب فيه، مشتاق إليه[1].

لبيك لأبى نواس

ألسنة مختلفة من أجناس متباينة جأرت إلى الله بالدعاء فشق صوتها أجواز الفضاء، فاهت بكلمات أنبعثت عن قلوب مخلصة وأفئدة طاهرة ونفوس نسيت كل شئ إلا ربها إنها وأيم الله لتترك فى النفس أثرا لا يحيط به الوصف ولا تحدّده العبارة لا يعرفه إلا من سمع وأبصر «ولا ينبئك مثل خبير».

وما أظرف ما قاله أبو نواس فى التلبية.

إلهنا مـــا أعـــدلك	مـليـك كـل مـن مـلـك
لبـيك قـد لبـيت لك	لبـيك إن الحـمـد لك
والملك لا شـــريك لك	مـا خـاب عـبـد سـألك
أنت له حـــيث سلك	لـولاك يـارب هـلـك

(١) مقال للشيخ العالم الأديب الفقيه على الطنطاوى نشر فى مجلة الوعى الإسلامى الصادرة فى الكويت.

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك كل نبى وملك
وكل من أهل لك سبح أو لبى فلك
يا مخطئا ما أغفلك عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك والحمد والنعمة لك

لك الدين يارب الحجيج

لأمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم ... لبيت طهور الساح والعرصات

أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة ... إليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت ... لديك ولا الأقدار مختلفات

عنت لك في التراب المقدس جبهة ... يدين لها العاتى من الجبهات

منورة كالبدر شماء كالسها ... وتخفض فى حق وعند صلاة

ويارب لو سخرت ناقة (صالح) ... لعبدك ما كانت من السلسات

ويارب هل تغنى عن العبد حجة ... وفى العمر ما فيه من الهفوات

وأنت ولى العفو فامح بناصع ... من الصفح ما سودت من صفحاتى

ومن تضحك الدنيا إليه فيغترر ... يمت كقتيل الغيد بالبسمات

إذا زرت بعد البيت قبر محمد ... وقبلت مثوى الأعظم العطرات

وفاضت من الدمع العيون مهابة ... لأحمد بين الستر والحجرات

وأشرق نور تحت كل ثنية ... وضاع أريج تحت كل حصاة

فقل لرسول الله: يا خير مرسل ... أبثك ما تدرى من الحسرات

شعوبك فى شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف فى عميق سبات

بأيمانهم نوران: ذكـــر وسنة ... فما بالهم فى حالك الظلمات؟
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم ... فما ضرهم لو يعملون لآتى؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم فى السماء وانشأوا ... بوارج فى الأبراج ممتنعات
فقل رب وفق للعظائم أمتى ... وزين لها الأفعال والعزمات

أسماء الكعبة

سميت الكعبة لتكعيبها وتربيعها ومن أسمائها أيضًا البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم ينله جبار قط وكانت العرب تطلق عليها (البنيه) ولقد كثر فى كلام العرب القديم ورب هذه البنيه ومن أسمائها المسجد الحرام لقوله تعالى«**فول وجهك شطر المسجد الحرام**» والمراد به الكعبة.

بناء إبراهيم للكعبه

يقول الله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] وبوأنا أرشدنا إبراهيم إلى مكان البيت وهى أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال«المسجد الحرام» قال ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى قال كم بنيهما ؟ قال: «أربعون سنه»

وبدأ إبراهيم فى بناء الكعبه بعد أن عرفه الله مكانها بمعاونه ابنه اسماعيل قال الله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] والرأى الرجح عند العلماء أن إبراهيم أولى من بنى الكعبه. وبعد بناء إبراهيم قامت قريش ببنائها وكان إبراهيم عليه السلام يبنى واسماعيل ينقل يالحجارة فلما ارتفع البناء وضعف إبراهيم قال لإبنه اسماعيل يا بنى التمس لى حجرا أقوم عليه علنى أستطيع إتمام ما بدأت فجاءه بالمقام وهذا المقام الذى تصلى ركعتين عنده بعد الطواف وهو قائم الآن على بناء مرتفع عن الأرض ويحيط به الزجاج حتى يراه الناظرون.

بناء قريش للكعبه

توالت الأجيال وتعاقبت الحقب وأمر الكعبة بيد قريش يتوارثونه كابرا عن كابر وجيلا بعد جيل، حتى كان عهد رسول الله ﷺ وقبل مبعثه جمرت الكعبة فأصابها حريق بسبب ذلك التجمير[١] ثم أن سيلا عظيما دخل الكعبه وصدع جدارنها ولذا فقد فكرت قريش فى نقض الكعبة.

وفى ذلك يوم يقول ابن هشام[٢] «لما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنه، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وانما كانت رضما فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة وكان البحر قد رمى سفينة إلى جده لرجل من تجار الروم فتحطمت فأشتروا خشبها وأعدوه لسقفها، وكانت هنالك حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم، فتتشرق[٣] على جدار الكعبة وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها احد إلا احزألت[٤] وكشت وفتحت فاها، وكانوا يهابونها فبينا

---

(١) البخور...

(٢) ٦٨ تاريخ الكعبة ...

(٣) تتعرض للشمس...

(٤) تحفزت ...

هى ذات يوم تتشرق على الجدار كماكانت تصنع، بعث الله إليها طائرا فأختطفها فذهب بها، فقالت قريش إنا لنرجوا أن يكون الله رضى ما أردنا، وقد كفانا الله الحية، فلما اجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائد المخزومى فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معشر قريش: لا تدخلوا فى بنائها كسبكم إلا طيبا لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال ابن اسحاق أبو وهب خال ابى النبى ﷺ وكان شريفا ثم أن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهره وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم، وكان ظهر الكعبه لبنى مجمع وسهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤى، وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم، ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا[1] منه، فقال الوليد بن المغيره: أنا أبدؤكم فى هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيره: أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول، ثم قام عليها وهو يقول:

(اللهم لم ترع، اللهم أنا لا نريد إلا الخير) ثم هدمها من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فإن اصيب لن نهدم منها شيئًا، ورددناها كما كانت، وان لم يصبه شئ فقد

(١) فرقوا: خافوا.

رضى الله صنعنا فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته عاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم افضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضًا، ثم إن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها احدهما فلما تحرك الحجر، تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عند ذلك الأساس)...

انتقاص قواعد إبراهيم:

فلما انتهوا إلى الاساس بنوها، وكان بناؤهم طبقه من حجر وفوقه طبقه من خشب، ولكنهم نقصوها عما كانت عليه، وقد كان كل من بنى الكعبة بعد ابراهيم يلتزم قواعده إلا قريشًا فقد نقصوا العرض وزادوا فى الطول، فقد جعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعًا، وذلك بزيادة تسعة أذرع عما كانت فى بناء الخليل عليه السلام واختصروا من عرضها ستة أو سبعة أذرع جعلوها فى الحجر لقصر النفقه الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة. ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا. وكبسوها بالحجارة. وجعلوا فى داخلها ست دعائم فى صفين ثلاث فى كل صف من الشق الذى يلى الحجر الى الشق اليمانى، وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجًا يصعد به إلى سطحها، وجعلوا فى السطح ميذابًا يصب فى الحجر.

رسول الله يضع الحجر الأسود:

وحينما بلغوا موضع الحجر تنازعوا أيهم يضعه ثم اتفقوا على

أن يحكموا بينهم أول من يطلع عليهم من باب بنى شيبه، ولم يكن وقتها معروفًا بهذه التسمية وانما قالوا أول طالع من هذه السكة وهى التى عرفت فيما بعد بباب بنى عبد مناف وباب بنى شيبه ويقال لها الآن باب السلام - فكان أول من ظهر لأبصارهم النبى ﷺ من ذلك الباب، وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه، وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والأدناس فحكموه فيما تنازعوا فيه،وانقادوا إلى قضائه، فبسط ما كان عليه من رداء، وأخذ عليه الصلاة والسلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لأربعة من رجال قريش وهم أهل الرئاسة فيهم والزعماء منهم وهم:

١- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

٢- الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى.

٣- قيس بن عدى السهمى.

٤- أبوحذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم[١].

ليأخذ كل منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فرفعوه وأدنوه من موضع الحجر فاخذه عليه الصلاة والسلام فوضعه فى مكانه، وقريش كلها حضور، وكان ذلك أول ما ظهر من فعل رسول الله وفضائله وأحكامه وهو يومئذ فى الخامسة والثلاثين من عمره وقيل أصغر من ذلك بكثير.

---

(١) مروج الذهب المسعودى/ جـ (٢) ص٢٧٨..

بناء عبد الله بن الزبير للكعبة

احترقت الكعبة فى الثالث من ربيع الأول من سنة أربع وستين من الهجرة وذلك أن رجلاً من أصحاب الزبير أوقد ناراً فى بعض الخيام المضروبة فى المسجد الحرام لأن عبد الله بن الزبير وأنصاره كانوا قد لجئوا إلى الحرم أثناء القتال الذى نشب بينه وبين يزيد ابن معاوية لرفض عبد الله بن الزبير مبايعته على الخلافة فلما مات يزيد انسحب جيشه من مكة فأصبحت مكة تحت إمرة عبد الله بن الزبير فأمر بتنظيف المسجد الحرام وكانت الكعبة حينئذ قد أصابها الوهن وتمايلت جدرانها فدعا ابن الزبير علية القوم وأشرافهم فاستشارهم فى هدم الكعبة، فأجابه إلى ذلك من أجاب وأبى ذلك كثرة من الناس منهم ابن عباس أجابه قائلاً: دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ، فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها ثم يأتى بعد ذلك آخر فلا تزال أبداً تهدم وتبنى فتذهب حرمة هذا البيت من قلوبهم ويتهاون الناس بحرمتها ولا أحب ذلك ولكن أرقعها. فقال الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه فكيف أرقع بيت الله سبحانه، وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى إن الحمام ليقع عليه فتتناثر حجارته.

وبعد مشاورة امتدت أيامًا عقد أبو خبيب العزم على هدم الكعبة وإعادة بنائها من جديد على قواعد إبراهيم، وشجعه على ذلك حديث سمعه من خالته عن رسول الله ﷺ وهو يريد أن يكون هو الرجل الذى يحقق تلك الرغبة التى خالجت صدر رسول الله ﷺ إذ يقول: «يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم[1] وفى بعض الروايات زيادة «فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه» فأراها قريبًا من سبعة أذرع داخله فى الحجر - فهذا من أكبر حوافز ابن الزبير على تجديد بناء الكعبة، وقد استعد لذلك بما يلى:

تعرف على المواد التى تصلح لبنائها وأين توجد فأرسل إليها فأحضرت له من صنعاء.

ثم أحضر الحجارة اللازمة للبناء بعد أن سأل عن الجبال التى بنتها منها قريش فاقتطع منها الحجارة وهى خمسة جبال ومنها جبل يعرف اليوم بجبل الكعبة ولعله لهذا السبب.

ثم إنه جمع ما فى الكعبة من حلى وثياب وطيب فوضعه فى خزانة الكعبة ووضعها فى دار بنى شيبه بن عثمان.

---

(١) البخارى.

فلما عزم ابن الزبير على هدم الكعبة، هرب كثير من أهل مكة منها إلى الطائف وإلى منى مخافة أن يحل بهم عذاب الله، ومنهم ابن عباس خرج إلى الطائف. وأمر ابن الزبير عماله بالهدم فلما رأى إعراضهم وتباطؤهم أخذ المعول وصعد بنفسه وأخذ يهدم ويرمى الحجارة فلما لم يصب بشيء أطمأنت قلوب الناس فصعدوا يهدمون، وكان من بين عماله أحباش أعملهم رجاء أن يكون منهم الحبشى الذى قال عنه رسول الله ﷺ «يخرب الكعبة ذو السويقتين[1] من الحبشة» وهو يأمل أن يكون هذا هو الهدم المذكور، وانتهى من الهدم فى نفس اليوم وكان ذلك يوم السبت الخامس عشر من جمادى الثانية عام ٦٤هـ وضاع بسبب هذا الهدم قرنا الكبش الذى فدى الله به إسماعيل وقد كانا على الحائط فى جانب من جوانب الكعبة.

ثم حفروا الأساس إلى أن اتضح لهم الأساس الأول وهو على حجارة فى ضخامة الإبل وهو أساسا إبراهيم، ولعله هو أساس آدم كذلك: فالقرآن يقول ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ ومعنى ذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يضع القاعدة وإنما كانت موجودة فرفعها والله أعلم - ولم يتركوا الحفر حتى واجههم هواء من نار لم يستطيعوا الصمود أمامه ثم دعا أشراف الناس

(١) نحيل الساقين.

فأشهدهم على وضوح القواعد وأمر بالبناء، وأرسل إليه ابن عباس من الطائف: لا تدع الناس بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب واجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها واستجاب ابن الزبير لذلك.

وضع الحجر الأسود :

فلما بلغوا موضع الحجر نقب موضعه فى الركن على حجرين أحدهما من أعلى والآخر من أسفل وعندما فرغوا من ذلك أسر ابن الزبير إلى ابنه عياد وجبير بن شيبه بن عثمان أن يجعلوا الحجر فى ثوب وأن ينتظران إلى حين يدخل الناس فى صلاة الظهر فيحملانه فيضعانه فى موضعه وأن يكبرا بعد الفراغ من ذلك اشعاراً له ليخفف الصلاة بعد الفراغ من وضع الحجر، وفعل الرجلان ما أمرهما به وغضب الناس لذلك وقصوا كيف وضع صلوات الله وسلامه عليه الحجر وكيف أشرك الناس فى ذلك. ولعله أن يكون قد خاف أن يكون ذلك مثار نزاع كما كان سابقًا فى بناء قريش ، فحسم الموقف بما فعل.

وصف بناء ابن الزبير :

جعل طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعًا لأن طولها السابق لا يتناسب مع عرضها فى البناء الحالى، فزداها تسعة أذرع على حالها السابقة، وكانت زيادته ضعفى بناء إبراهيم،

وزين سقفها بالرخام وجعل لها بابين ملصقين بالأرض على الشاذوران أحدهما هو الباب الحالى، والآخر مقابل له من جهة الركن اليمانى، وجعل طول كل منهما أحد عشر ذراعًا وجعل للباب مصراعين، وجعل لها سلمًا فى داخلها من خشب فى الركن الشامى يصعد به إلى ظهرها وجعل دعاماتها ثلاثة فى صف واحد، وكانت دعاماتها فى بناء قريش ستة فى صفين ثم عطرها بالعنبر والمسك، وكساها بالديباج، وشكر الله على أن وفقه فى بناء البيت على قواعد إبراهيم فأمر الناس بالاعتمار قائلاً: من كانت لى عليه طاعة فليعتمر من التنعيم لله عز وجل، ومن قدر أن ينحر بدنه فليفعل ومن لم يقدر على بدنه فليذبح شاة فمن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله وخرج ومن معه إلى التنعيم وكان ماشيًا حافيًا، واحرم من قرب مسجد عائشة ولبى إلى أن نظر إلى البيت وطاف سبعًا يستلم الأركان كلها، وقال إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامى والغربى لأن البيت لم يكن تامًا.

وأهدى مائة بدنه ولم يبق من من أشراف مكة وذوى الاستطاعة فيها أحد إلا أهدى، ولم ير يوم كان أكثر عتيقًا ولا أكثر بدنه منحوره ولا شاة مذبوحة، ولا صدقة من ذلك اليوم وذلك شكراً لله على تيسير بناء البيت على نهج إبراهيم عليه السلام وأصبحت العمرة فى ذلك اليوم الذى تم فيه بناء الكعبة سنة أهل مكة وهو اليوم السابع عشر من رجب سنة أربع وستين من الهجرة.

بناء الحجاج:

أراد الحجاج بعد استلامه لمقاليد الأمور فى مكة أن يمسح أثار ابن الزبير فكتب إلى عبد الملك يستأذنه فى رد الكعبة على ما كانت عليه من بناء قريش فى الجاهلية، فاستجاب لطلبه، وأمره أن يقر ما زاد فى طولها، وأن يرفع الباب كما كان فى بناء قريش، وأن يسد الباب الآخر الذى ابتدعه ابن الزبير، وأن يزيل ما زاده فى جانب الحجر، وأن يجعل ما نقص من الحجارة فى داخلها، ولعل هدم الزوائد من جانب الحجر قد سبب هدم الدرج الداخلى الصاعد إلى ظهر الكعبة فأعاده الحجاج. فبناء الحجاج فى حقيقته حذف للزوائد التى زادها ابن الزبير وليس تجديداً كاملاً للبناء، على أنه قد أقر الطول حسبما صنعه ابن الزبير.

ندم:

(فلما فرغ الحجاج من ذلك كله، وفد[1] بعد ذلك الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك ما أظن أبا خبيب يعنى ابن الزبير - قد سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها فى أمر الكعبة، فقال الحارث أنا سمعته من عائشة قالل سمعتها تقول ماذا؟ قال سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ «إن قومك استقصروا فى بناء البيت،

(١) الأزرقى/ جـ (١) ص ٢١١.

ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبًا من سبعة اذرع وقال ﷺ وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابًا شرقيًا يدخل الناس منه، وبابًا غربيًا يخرج الناس منه»..

قال عبد الملك بن مروان: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أنا سمعت هذا منها. فجعل عبد الملك ينكت منكسًا بقضيب فى يده ساعة طويلة ثم قال: وددت والله إنى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك.

ومع هذا الندم فلم يشأ الخليفة إعادة البيت على بناء ابن الزبير وعلى أساس إبراهيم وعلى ما تمناه رسول الله ﷺ كما لم يفكر فى ذلك أحد من الخلفاء الأمويين بعده. فلما انتهت دولة بنى أمية وشيدت دولة بنى العباس خطر لهارون الرشيد أن يعيد البيت على بناء ابن الزبير لما فى ذلك من الأحاديث الواردة فسأل الإمام مالك عن ذلك، فأجابه مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء ملك إلا نقضه وبناه فتذهب هيبته من صدور الناس. ولعل هذا الخوف من اعتياد التغيير فى المشاعر هو الذى جعل العلماء اليوم يتحرجون فى تغيير موضع المقام لتوسعة المطاف خوفًا من أن يتطور الأمر من التغيير عن ضرورة إلى التغيير عن هوى وأغراض، ورحم الله

مالكًا إذ وضع سنة التحرج فى تغيير المشاعر ولو وافق لكان التغيير سنة يصعب إيقافها.

بناء السلطان مراد

بنى السلطان مراد الكعبة عام ١٠٣٩هـ وهذا البناء هو الذى نشاهده الآن وهذا أول بناء للكعبة بعد بناء عبد الله بن الزبير الذى كان فى عام ٦٥هـ فيكون بناء ابن الزبير مكث ٩٧٤م وسبب بناء السلطان مراد أنه فى ١٩ شعبان ١٠٣٩هـ فى صبيحة الأربعاء من ذلك التاريخ تجمعت السحب واربد الجو بالغمام على شكل لا سابق له، غزارة وبردا واستمر طيلة اليوم إلى الليل وموضع الكعبة - كما ترى الآن - واد عظيم بين جبلين عظيمين، فانحدرت المياه إلى المسجد الحرام حتى ملأته، وحتى بلغت نصف جدار الكعبة المرتفع عن سطح أرضها سبعة وعشرون ذراعًا، وحتى وصل إلى داخل الكعبة من بابها المرتفع، والحادث أكبر من أن يحيط به وصف وأعظم من أن ينال استقصاؤه ولكنا يمكن أن نعلم بعض هوله، ونقدره بعض قدره إذا علمنا أنه مات من جرائة فى ذلك اليوم وفى تلك الليلة قرابة ألف روح من البشر، وزاد من هول الناس وترويع نفوسهم أن الفقد فى الأنفس تبعه الفقد فى المقدسات وأى مقدس أعظم من بيت الله وأول بيت وضع للناس مباركًا وهدى) وهرع الناس إلى المسجد الحرام من كل حدب

وصوب ومن كل طائفة وعلى رأسهم أمير مكة وسادتها وأشرافها وسدنة بيتها، وفتحوا سراديب الماء المتصلة بالمسفلة وفى أخريات اليوم التالى ليوم المطر المنهمر سقط جدار الكعبة الشامى سقوطًا كليًا، كما سقط كل من جدار الشرقى والغربى سقوطًا جزئيًا، وتساقط الدرج الصاعد إلى ظهر الكعبة وانزعج الناس لهول المصاب وعظيم الصدمة، فرجع الأمير إلى المسجد ومعه كبار رجالات البلد من كل طائفة وأمر بإخراج ما فى الكعبة من ذخائرها وكانت عشرين قنديلاً من الذهب وأحدها مرصع باللؤلؤ وثلاثة وثلاثين من الفضة ومعها الميذاب وغير ذلك من المعادن، فوضعت فى بيت الشيبى السادن بعد الاحصاء والضبط والتختيم.

ثم أزيل ما بالمسجد صبيحة تلك الليل من الطين والأوساخ والحجارة المتناثرة لإقامة الجمعة، ولم يكن من أبناء مكة أحد حضر إلا وساهم فى تطهير المسجد الحرام حتى أميرها حمل المكتل ينقل الطين يساهم فى ذلك الشرف، ولم يمكنهم الوقت قبل الجمعة لا كمال العمل فاستأنفوه بعد الصلاة لنظافة الأماكن الضرورية.

اجتماع بشأن الإصلاح:

بعد مضى ثلاثة أيام من هذا الحادث انعقد فى المسجد الحرام شبه اجتماع شعبى دعت إليه طبيعة الموقف حضره العلماء والأمراء والأعيان كما حضره مندوب إمارة جدة، لمعاينة

الحادث، ومعه بعض النقود للمساهمة فى الإصلاح، وطرح أمير مكة فى نفس الاجتماع السؤال التالى إلى أصحاب الفضيلة العلماء:

هل تؤثر المبادرة إلى عمارة الكعبة، وتعميرها فى الحال من قبل أخبار ولى الأمر الذاب عن حوضها؟ ومن أى المال يكون التعمير؟ أبمال قناديلها أم بمال غير ذلك.

وانعقد الاجماع على ما يتلخص فيما يأتى:

١- ضرورة المبادرة بتعمير الكعبة.

٢- أن يكون ذلك من مالها على أن يعرض الأمر على السلطان.

٣- لا يمنع أحد من المسلمين أن يعمرها من ماله إذا لم كن فيه شبهة.

العلماء بباب الرحمة:

ولما أجمع المؤتمرون على ذلك أراد أمير مكة أن يستوثق منهم لئلا يتحمل مسئولية المبادرة إلى العمل وحده، وليكون عمله وفقًا للشرع كما قاله علماؤه، فأمر بأن تكون الإجابة كتابة وبخطوط العلماء بعد الدرس والبحث والتنقيب، ولذلك انفرد العلماء بباب الرحمة واحضروا كتاب (المناهل العذبة فى إصلاح ما وهى

الكعبة) وصاروا يتدارسونه بضعة أيام ثم وجدوا فيه ما يدعم أراءهم ويثبت نتائج اجتماعاتهم السابقة فكتبوا فتاواهم وقدموها للأمير.

الاستعداد للبناء:

ما كان أمير مكة يستلم قرارات العلماء حتى عمل على ضوئها، وذلك بالشروع فى البناء فوراً وإخطار السلطان الأكبر بذلك، ففى اليوم الرابع والعشرين من نفس الشهر أرسل بعثة لأخبار السلطان عن طريق والى مصر، وزودها بمحاضر الجلسات وقرارات العلماء، وفى نفس اليوم أمر بنظافة المسجد كاملة مع إزالة الأنقاض إلى الأماكن التى تحفظها ولا تضيق على المصلين، وفى نفس اليوم كذلك أمر بإحضار خشب من جده ومن غيرها لعمل ستائر خشبية حول الكعبة تكوت قبلة للناس ريثما يشاد جدار الكعبة، ولم يمكن تحصيله إلا فى أخريات رمضان ولم تمض أيام حتى فرغ العمال من صنع هذه الستارة وألبست ثوبًا أخضر وصلى الناس حولها وفيها.

وكان الفراغ منها فى منتصف شوال، وما كاد هذا الشهر ينتهى حتى جاء رد البعثة المرسلة إلى مصر لتقوم بدورها بإبلاغ تركيا وبدهى أن هذا الوقت غير كاف لوصول الخبر إلى استنبول ثم رجوعه إلى مكة، لقصر المدة وسوء المواصلات فى ذلك الحين

ولكن ما حدث أن مصر رأت ما رأته الحجاز من تعجيل التعمير على الفور، وعدم انتظار أوامر السلطان فى ذلك، لأن الموقف واضح والموافقة عليه مضمونة، والتعجيل به مما يسر المسئول عن المسلمين لاسيما وأن موسم الحج قد دنا وأن البيت لابد أن يطهر للطائفين والعاكفين الركع السجود.

فأرسل والى مصر محمد على باشا مندوبًا من حاشيته يدعى رضوان أغا وخوله سلطة تامة لاتخاذ كافة التدابير التى تلزم.

مجلس المندوب:

عقد مندوب محمد على مجلسه فى الحرم للنظر فى تنظيف المسجد وبداية العمل وقد كانت الأطمار والأتربة قد تراكمت تراكمًا شديداً كما قد تحجرت من حرارة الشمس وقد رأى المجتمعون ضرورة ذلك ومضى مندوب محمد على فى مشروعه فأحضرت وسائل النقل من مدن كثيرة من مدن الجزيرة العربية مثل جدة والمدينة والقنفذة ذلك بأن الأتربة كانت أطواداً شامخة، ولم يكن الفراغ من نظافة الحرم إلا فى أخريات القعدة ثم انتقل الأغا إلى نظافة البلد العامة من الخراب الذى لحقها بسبب السيول فى العيون والأبار والبرك والشوارع ولضخامة العمل وقلة الآلات وضعف الوسائل، كان الفراغ من ذلك فى أوائل ربيع الثانى من سنة أربعين بعد الألف.

وفى هذا الأمد وصلت مؤن والآت من مصر لبناء الكعبة وهى موضحة فى تاريخ الكعبة، وفى ملحق تاريخ الأزرقى وفى غيرها ولمن شاء أن يرجع إليها.

وعملت ستاره خشبية كبيرة لتحول بين العمال وبين الطائفين - وهى غير الأولى ولها نافذة لتقبيل الحجر، واستشير فيها العلماء فوافقوا.

وفى اثنين وعشرين من هذا الشهر (ربيع) وصل مندوب السلطان مراد خان السد محمود الحسينى الانقروى قاضى المدينة ناظراً من قبل السلطان لعمارة بيت الله الحرام وذلك بناء على الأمر الوارد على والى مصر وقد خول له أن يعين من جانبه من يساعد المراقب من قبل السلطان وقد ثبت والى مصر مندوبه الذى سبق أن أرسله، وقد باشر قاضى المدينة أعماله من فور وسوله.

وفى أواخر هذا الشهر سقط مطر شديد فسقطت بعض حجارة الكعبة وزادتوهن الجدران.

وبهذه المناسبة أجرى كشف على حوائط البيت ليعلم مدى ما أصابها من الضرر وتبع ذلك تسليم ما بيد السادن من قناديل الكعبة ونفائسها، للأغا المناط به القيام بأعباء البناء، وقد كانت إعدادات البناء فى ذلك الحين - من الحجارة والمواد والمؤن والآلات تكاد أن تكون قد اكتملت، ولذا فقد عقد مجلس فى اخريات جمادى الأولى منسنة أربعين بعدآلاف حضره أمير مكة

والمندوبون والعلماء والمهندسون للنظر فى بقية الجدران التى توهنت، وقد وجد أن الجدار اليمانى مائل نحو ذراع، وفى جلسة فى الحطيم بعد النظر أقروا هدم ما تبقى من الجدارين الشرقى والغربى ثم وجه إلى علماء الدين السؤال التالى: هل يجوز هدم الجدار اليمانى إذا شهد المهندسون بوهنه وسقوطه إن لم يهدم؟ فأجابوا بالإيجاب.

وبدأ العمل فى إصلاح الكعبة المشرفة وتثبيت الحجر الأسود بغلاف من الفضة المذهبة واكتمل بناؤها فى عام ١٠٤٠هـ.

وكتب على من الرخام النص الآتى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

تقرب بتجديد هذا البيت العتيق إلى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين، وسائق الحجاج بين البرين والبحرين السلطان بن السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان، خلد الله تعالى مكله وايد سلطنته، فى أواخر شهر رمضان المبارك المنتظم فى سلك شهورسنة أربعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية).

هذه هى العمارة القائمة إلى يومنا هذا ولم يحدث فيها خلل إلا إصلاحات بسيطة تمت فى العهد السعودى.

عمارة المسجد الحرام

المسجد الحرام هو أول المساجد التى تشد إليها الرحال يقول الرسول ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى وحينما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة وصار الناس يحجون إليها ويعتمرون ويصلون وعرف ما حول الكعبة بالمسجد الحرام.

ولم يكن للمسجد الحرام سور، وكات تحيط به الدور من جميع الجهات، حتى كان عهد الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وضاق المسجد بحجاج البيت وزواره، فلم يكن بد من توسعته، فاشترى الدور من أهلها، وهدمها ووسع المسجد الحرام، وجعل له سورا على قامة الرجل، ووضع عليه السُرج والمصابيح. فلما كان عهد عثمان - رضى الله تعالى عنه - اشترى دورا أخرى وزادها فى المسجد. فلما ولى عبدالله بن الزبير أحكم بنيانه، وحسن جدرانه، وأكثر أبوابه، ولم يوسعه، فلما ولى الأمر عبدالملك بن مروان الأموى زاد فى ارتفاعه، وأمر بالكعبة فكسيت الديباج[1]، وكان الذى تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف الثقفى.

---

(١) الحرير.

ولم يزل المسجد الحرام يتعاهده الخلفاء والملوك والأمراء من لدن عبدالملك إلى يومنا هذا[1].

والعمارة التى نراها الآن هى عمارة السلطان سليم خان وهى تعرف بالعمارة العثمانية لأنها تمت فى عهد الخلافة العثمانية وبعدها العمارة والتوسعة السعودية.

العمارة العثمانية

أصدر السلطان سليم خان سنة ٩٧٩ أمراً ببناء المسجد الحرام على أكمل درجات الاتقان، وأن يُستبدل سقف الجريد بالعقد، وأرسل إلى أمير مصر ليعين من يقوم بهذا العمل من الشخصيات الكبيرة فعين رجلاً يدعى «أحمد بك» يقول عنه مؤلف «مرآة الحرمين» فكان تعيينًا موفقًا لأن الرجل طبع على حب الخير وعدم الاكتراث بالدنيا وشده العاطفة على الفقراء...

وفى ذى الحجة من السنة المتقدمة وصل المندوب إلى مكة ومعه المراسيم السلطانية لمباشرة البناء، على أن يكون ذلك تحت اشراف مدير المملكة الحسينية القاضى حسين، وقدم مع أحمد بك شيخ المهندسين بمصر «محمد المصرى»..

وفى الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٩٨٠هـ بدأ الهدم يتلوه

(١) السيرة النبوية للشيخ محمد أبو شهبة.

التعمير من باب السلام، ومازال البناء على الشكل المتقن الذى نراه حتى تم الجانبان الشرقى واليمانى، وإذا بالناعى ينعى سليمان ويعلن تولية ابنه السلطان مراد، ولم يمضى زمن حتى ورد منه أمر لأحمد بك يستنجزه اتمام ما بدأه والده، واستمر العمل حتى كان الفراغ منه سنة ٩٨٤هـ..

فكان محكم الأساس متقن الشكل، وكانت تكاليفه باهظة، وقدرت بمائة وعشرة آلاف دينار[١]..

وفى هذا التعمير أصلح شارع المسفلة بحيث يصرف مياه السيول التى يمكن ان تدهم الحرم. ولا يزال هذا البناء موجود إلى جانب البناء السعودى المحيط به.

وبعد ذلك وفى خلال ما تقدم حصلت اصلاحات كثيرة فى المسجد وفى زمزم وفى المقام وفى الحجر، ولا سبيل إلى الحصر، وفيما ذكر الكفاية لإلقاء نظرة طيبة لتاريخ الحرم، ولم يبق إلا أن نذكر يسيراً عن التوسعة السعودية وبالله التوفيق...[٢].

التوسعة السعودية

التوسعة السعودية لبيت الله الحرام تمت على مراحل ابتداء من

---

(١) المرشد للسباعى.

(٢) الكعبة والحج فى العصور المختلفة لأبوالقاسم يزن العابدين.

الملك عبد العزيز وآخرها العمارة المنيفة والتوسعة الهائلة على يد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وهى غاية فى الإبداع والجمال تليق بالحرم الآمن.

كسوة الكعبة

كان العرب يكسون الكعبة قبل ظهور الإسلام ولما بعث الله محمد ﷺ بدين الإسلام كساها الرسول ﷺ ومن بعده كساها أبوبكر ثم كساها عمر وعثمان واستمر خلفاء المسلمين فى كسوتهم للكعبة فى كل العصور.

ثم تولت مصر كسوة الكعبة بعد ضعف الدولة العباسية وأول من كسا الكعبة من حكام مصر هو الظاهر بيبرس سنة ٦٦١هـ.

وفى سنة ٧٥٠هـ أوقف الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون بمصر وقفا ينفق منه على كسوة الكعبة والحجرة النبوية الشريفة وهذا الوقف عبارة عن ثلاثة قرى هى بسوس وسندبيس وأبى الغيط ثم اشتراها اسماعيل من بيت المال وأوقفها لهذا الغرض ثم اشترى السلطان سليم بن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر أضافها على قرى الملك الصالح وعددها سبعة وهى:

سلكة - سرور بجنجة - قريش الحجر - منايل وكوم ريحان - بجام - منية النصارى - بطاليا وأنشئ فى مصر مصنع لكسوة

الكعبة فلما كانت الحرب العالمية الأولى واحتلت بريطانيا مصر خشيت الدولة العثمانية أن يمنع الإنجليز مصر من إرسال الكسوة فصنعت كسوة وأرسلتها إلى الحجاز إلا أن الإنجليز لم يمنعوا مصر من هذا الأمر فأرسلت مصر الكسوة كالمعتاد فاحتفظ الشريف حسين بالكسوة المرسلة من تركيا وفى سنة ١٣٤١هـ منع الشريف حسين دخول البعثة الطبية المصرية فرجعت الكسوة المرسلة من مصر فقام الشريف حسين باحضار الكسوة التركية التى كان يحتفظ بها فى المدينة المنورة وكسا بها الكعبة.

ثم قام الشريف حسين فى العام القادم بصنع الكسوة فى العراق إلا أن مصر أرسلت الكسوة كعادتها وذلك فى سنة ١٣٤٢هـ.

وفى سنة ١٣٤٣هـ استولى الملك عبد العزيز على مكة ولم ترسل مصر الكسوة بسبب الحرب بين الشريف حسين والملك عبد العزيز. فكسيت الكعبة بالكسوة المصنوعة فى مصر وفى عام ١٣٤٤هـ أرسلت مصر الكسوة كالمعتاد وفى عام ١٣٤٥هـ اختلفت الحكومة المصرية مع الحكومة السعودية فلم ترسل مصر الكسوة فصنعت الحكومة السعودية الكسوة ثم أنشأت مصنعاً للكسوة سنة ١٩٤٦ هـ. واستمرت فى كسوة الكعبة ا لمشرفة حتى عام ١٣٥٦هـ حيث سويت الخلافات بين حكومة مصر

والحكومة السعودية فعادت مصر إلى كسوة الكعبة إلا أنه فى عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م رفضت المملكة العربية السعودية قبول الكسوة بسبب الخلافات السياسية بين الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر فرجعت الباخرة التى كانت تحمل الكسوة وعلى متنها الحجاج ومن هذا التاريخ وحتى الآن تقوم المملكة العربية السعودية وحدها بكسوة الكعبة.

الملتزم

الملتزم هو ما بين الركن الأسود وباب الكعبة وسمى بذلك لأن الناس يلتزمونه للدعاء عنده وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الملتزم موضع يجاب فيه الدعاء وما دعا عبد الله تعالى فيه إلا استجابها».

وكان رسول الله صلوات الله عليه يلتزم ما بين الباب والحجر ويدعو فقد ذكر عمرو بن العاص أنه طاف بالبيت ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب فوضع وجهه وذراعيه وبسطهما بسطا ثم قال: كذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

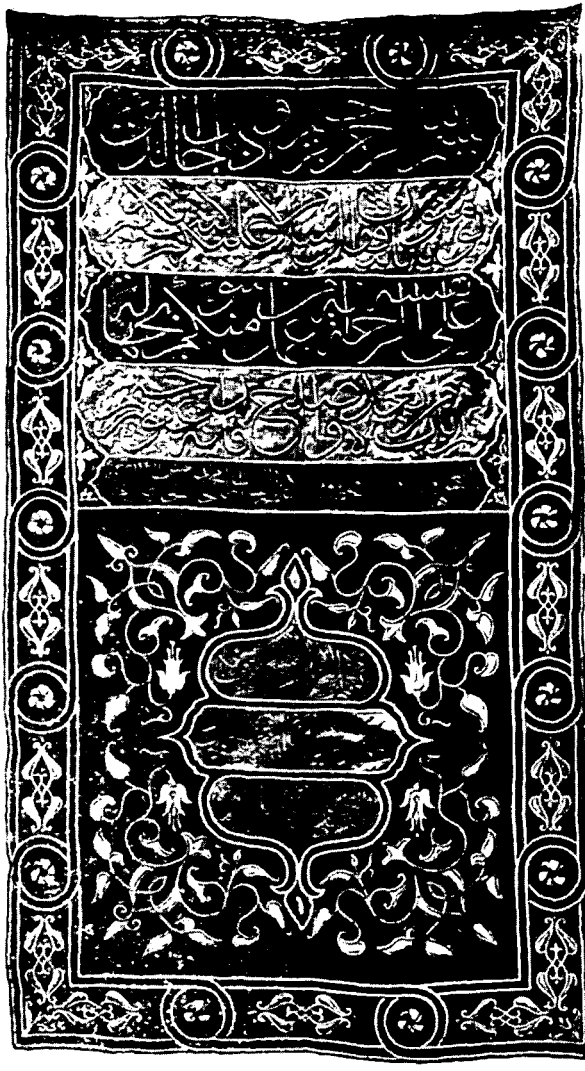

منظر ستارة باب التوبة داخل الكعبة

الحِجْر

يقصد به الجدار القصير المحيط بشمال الكعبة ويقال له الحطيم لأنه حطم من الكعبة ولم يلحق بها وقيل الحطيم هو ما بين الحجر الأسود والمقام وزمزم وحجر إسماعيل وسمى بذلك لأنهم يرون أن الدعاء فيه يحطم الأعداء.

ولما بنت قريش الكعبة نقصتها لقصر النفقة الحلال التى أعدت لبناء البيت فزادت سعة الحجر ولما بنى ابن الزبير البيت أدخل فى البيت ما أخرجته قريش، وهدم الحجاج هذه الزيادة وجعل البيت على ما كان عليه، وهو ما عليه الآن.

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض، ولجعلت لها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشًا استقصرتها حيث بنت الكعبة، وفى رواية فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه، فأراها قريبًا من سبعة أذرع.

وفى مسلم عن عطاء أن رسول الله ﷺ قال: لولا أن الناس حديثو عهد بكفر، وليس عندى من النفقة ما تقوى على بنائه

لكنت أدخلت من الحجر خمسة أذرع. وذكر عطاء أن ابن الزبرى زاد فى البيت خمسة أذرع من الحجر، وأنه بدا له أساس من البيت نظر إليه الناس فبنى عليه، وعلى ذلك فبعض الحجر من البيت وبعضه ليس من البيت، ولا يعارض ذلك ما رواه الشيخان عن عائشة قال سألت رسول الله ﷺ عن الحجر أمن البيت هو؟ قال: نعم. لأن حديثها هذا مطلق وأحاديثها السابقة مقيدة والمطلق يحمل على المقيد[1]..

(١) صفوة التفاسير جـ٢، ص ٢٦٣.

مقام إبراهيم

هو الحجر الذى كان يقف عليه الخليل إبراهيم - عليه السلام - لما ارتفع البناء عن قامته، وقد أثَّرت قدماه فيه.

وقد كانت آثار قدمى الخليل فى الحجر باقية إلى أول الإسلام، قال أبو طالب فى لاميته المشهورة:

وموطئ إبرهيم فى الصخر رطبة

على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد روى أن المقام كان ملصقًا بحائط الكعبة، على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأخَّره عن البيت قليلاً حتى لا يحصل التضييق عن الطائفين بالبيت والمصلين عند المقام، وقد وافق الفاروق الصحابة ولم ينكر عليه أحد[1]. وكيف وهو صاحب الموافقات، ومن موافقاته قوله لرسوله الله ﷺ: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

رواه البخارى فى الصحيح[2].

---

(١) البداية والنهاية، ج١، ص ١٦٤.

(٢) صحيح البخارى.

من معالم مكه

الدار التى ولد فيه الرسول ﷺ

هل جال بخاطرك أيها الحاج الكريم وأنت تمشى فى حوارى مكة وشوارعها وتصعد جبالها وتهبط في وديانها أن تتذكر ميلاد محمد وذلك عندما تمر على البيت الذى ولد فيه، ربما تقول لا أعرفه.

فسأدلك عليه هذه الدار تبعد عن الحرم بحوالى ٥٠٠ متر في مكان يعرف بين أهل مكة «بسوق الليل» واتفق المؤرخون أن هذه الدار صارت لمحمد بن يوسف الثقفى.

وفي القرن العاشر الهجرى أقام سلاطين الدولة العثمانية في هذا المكان المبارك قبة عظيمة ومنارة وفى أواخر القرن الحالى تهدمت وبقيت أرض فضاء ثم أقيم عليها مكتبة عامة عليها لافتة كبيرة مكتوب عليها: (مكتبة مكة المكرمة).

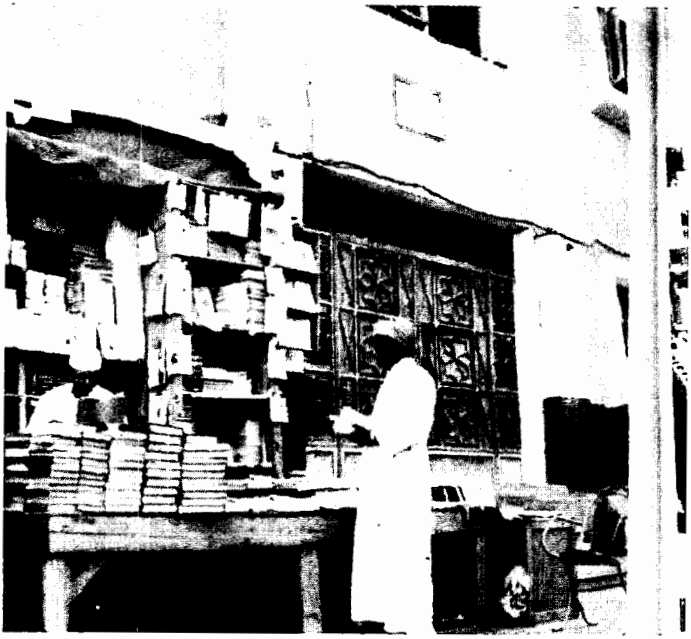

هنا كانت توجد دار الأرقم ، تلك الدار التي شهدت إسلام عمر ﷺ، وخرج منها رسول الله ﷺ وصحبه ﷺ ليصلوا جماعة ويجهروا لأول مرة ، وقد أقيمت في هذا المكان مدرسة.

دار الأرقم

تقع قريبة من قبة الصفا وأقيمت عليها مدرسة لتحفيظ القرآن ثبتت عليها لافتة صغيرة زرقاء كتبها عليها «دار الأرقم»[1] وهذه الدار تثير فى نفس كل مسلم ذكرى رائعة من ذكريات حياة نبينا الكريم، وهى إسلام عمر، وتبدأ القصة بأن كان رسول الله كان يجلس فى هذه الدار ذات يوم مع أصحابه والإسلام لا يزال فى بدايته، وقريش ما تزال تشن حربًا لا هوادة فيها على النبى وأصحابه الذين اتبعوه قلة ضعيفة. وكان عمر بن الخطاب لا يزال على جاهليته وقد فكر فى أن يقتل محمداً ﷺ حتى تتخلص منه قريش بعد أن سب آلهتها وأصنامها.. والتقى عمر مع نعيم ابن عبد الله فى الطريق وأسرَّ إليه بنيته على قتل محمد.

وقال له نعيم: «والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتقيم أمرهم!».

وكانت فاطمة أخت عمر وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما.

---

(١) استطلاع أجرته مجلة العربى الكويتية منشور بالعدد ١٥٨ يناير ١٧٢.

وأسرع عمر وهو غاضب إلى بيت أخته، وعند الباب سمع عمر من يقرأ القرآن فى الداخل، وفى سورة غضبه اقتحم البيت وبطش بسعيد، وقامت فاطمة تحمى زوجها من بطش أخيها فأصيبت هى الأخرى وسالت دماؤها .. وهاج الزوجان لما حل بهما وتحديا عمر معلنين له إسلامهما.. ولأن عمر عندما رأى ما حل باخته والدم يسيل منها وسألها أن تعطيه الصحيفة التى كانوا يقرأون فيها.. فلما قرأها اهتز ودخل الإيمان قلبه وخرج يريد محمداً كى يعلن إليه إسلامه، وسار إلى دار الأرقم حيث دق الباب، وقف رجل ممن كانوا مع الرسول ﷺ فنظر من الطارق وعاد فزعاً يقول: «هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف».

وقال حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول): مخاطبًا النبى ﷺ «فأذن له، فان كان جاء يريد خيراً بذلنا له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه وأمر النبى ﷺ أن يؤذن لعمر. ولما دخل عمر أخذ النبى يجمع ردائه وجذبه بقوة وقال له: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة».

قال عمر: «يارسول الله، جئتك لأومن بالله ورسوله».

وكبر محمد ﷺ والمسلمون تكبيرة عرف منها أهل البيت أن عمر أسلم.

وهكذا أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب.

غار حراء مهبط الوحى:

وهو من الآثار التى لا يمحوها الدهر. ويقع - غار حراء - على قمة جبل النور شمال شرقى مكة وهو لا يبعد عنها أكثر من ٧ كيلو مترات - وغار حراء هو ذلك الغار الذى اتخذ منه الرسول الكريم ﷺ مقراً لتعبده، والذى جاء إليه جبريل أثناء مقامه به بأول آيات القرآن الكريم، ولهذا الغار مكانة خاصة فى تاريخ الإسلام. هنا كان رسول الله يقضى شهر رمضان من كل عام قبل أن يشرفه الله برسالته. كان يعيش وحيداً فى هذه البقعة المنعزلة لا يؤنسه سوى تفكيره وتأمله فى أسرار الكون الذى يحيط به.

هنا فوق قمة هذا الجبل، وفى الغار هبط الوحى على محمد ﷺ لأول مرة معلنًا بداية الرسالة وبداية النور.. من منا لا يتذكر قصة نزول الوحى على الرسول.. تلك القصة التى تهز مشاعر كل مسلم.

هنا جاء جبريل إلى محمد فى غار حراء وقال له: اقرأ..

قال محمد: ما أنا بقارئ.

ويقول النبى ﷺ: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى وقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى.

فقال: اقرأ.

فقلت ما أنا بقارئ.

فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى.

فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

ورجع رسول الله إلى منزله وقد تملكه الروع وقص على خديجة الخبر وقال: زملونى، زملونى، فزملوه حتى هدأت نفسه.

وقال لخديجة: لقد خشيت على نفسى.

فقالت: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا. انك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقرئ الضيف، وتعين على نوائب الحق».

منى وعرفات والعقبة الكبرى

بعد نزول الوحى على محمد بدأت فترة الدعوة للإسلام وللتوحيد بالله، وآمن بالإسلام نفر معدود كانت أولهم السيدة خديجة زوجة النبى.

وبدأ النبى العربى الكريم يبشر برسالته بالرغم من اضطهاد قريش له ومحاربتها لأنصاره وتعذيبهم بكل الطرق.. وكان محمد ﷺ عليه ينتهز فرصة موسم الحج كل عام ليجتمع بالقبائل فى منى وعرفات حول الكعبة.. وفى منى مكان يذكرنا بهذه الفترة من حياة النبى وهو مكان العقبة الكبرى حيث تلقى الجمر التى يلقيها المسلمون ليتحللوا التحلل الأصغر، فهذا المكان هو الذى تمت فيه بيعتا العقبة اللتان تمتا بين أهل يثرب ورسوله الله ﷺ فكانتا تمهيداً للهجرة وكانتا ايذانًا بنصر الله لرسوله وبانتشار الإسلام.

وفى منى مسجد كبير يتسع لحوالى ١٠ آلاف مصل وهو مسجد الخيف وهو أكبر مسجد بين مكة وعرفات بعد المسجد الحرام، وكان أوسع من المسجد الحرام فى العهود الأولى للإسلام.

وتروى بعض كتب التاريخ حديثًا عن الرسول أن هذا المسجد

هو الذى تبايعت فيه الأحزاب من العرب واليهود على قتال محمد والمسلمين فى المدينة، وأن الأحزاب خرجوا منه لغزوة الخندق، وقد صلى النبى فى مسجد الخيف أثناء حجة الوداع.

وفى عرفات يقع مسجد نمرة وهو المسجد الذى خطب أمامه النبى ﷺ خطبة الوداع فى المسلمين وهو راكب على ناقته القصواء.

والآن بعد أن انتهينا من أداء مناسك الحج تقبلها الله وأثابنا ما وعدنا به ومنحنا من رحمته ورضوانه ما يصلح به معاشنا ومعادنا فهيابنا نذهب إلى المدينة المنورة فقد اشتاقت إليها نفوسنا وحنت إليها قلوبنا.

قلبى يَحِنُّ إلى مدينة طه

فمتى أفوز بوصلها وأراها

إلى المدينة

قبل أن نشد الرحال إلى المدينة المنورة يجدر بنا أن نعيش لحظات فى صحبة النبى الكريم ﷺ وصاحبه الناصر الأمين أبى بكر الصديق فى الرحلة الميمونة المباركة رحلة الهجرة إلى المدينة.

بعد أن تعرض النبى للكثير من مضايقات كفار قريش.. وبعد أن وصل الأمر إلى حد الاتفاق بين الكفار على قتله والتخلص منه، أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى يثرب (سميت بعد ذلك بالمدينة المنورة) وخرج محمد ﷺ ومعه أبو بكر من مكة وكان ذلك فى عام ٦٢٢م واتجه النبى ﷺ والصديق إلى جبل ثور وهو يقع إلى جنوب مكة فى الطريق إلى اليمن. وتقوم حوله جبال مشابهة له تماماً. واختفى النبى ﷺ فى غار ثور وهو غار يقع على قمة الجبل.

ويعود بنا الخيال إلى الوراء إلى الليلة التى هاجر فيها الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة مبتدئًا عهداً جديداً فى الإسلام.. عهد الجهاد والحرب فى سبيل الله: النبى الكريم فى داره، وأبو بكر فى داره ينتظر الرسول وقد أعد راحلتين تحملانهما من مكة إلى يثرب. وعلى ابن أبى طالب فى دار محمد ﷺ قد ارتدى برده الحضرمى الأخضر ونام حيث ينام ابن

عمه، بينما فتيان الكفار من قريش يلتفون حول الدار ينتظرون الفرصة المواتية ليفتكوا بالنبى..ويتقدم الليل ويخرج محمد ﷺ من داره إلى دار أبى بكر دون أن يراه من الكفار أحد، فقد غطى الله على أبصارهم. ويخرج النبى والصديق إلى طريق جبل ثور فى هدوء الهزيع الأخير من الليل ويتسلق الرجلان الجبل ويصلان إلى الغار، ويتقدم أبو بكر يستطلع المكان ثم يدخل إلى الغار قبل الرسول مخافة أن يكون به ما يؤذيه.

ويطلع النهار ويكتشف كفار قريش أن النبى الكريم ﷺ قد أفلت من بين أيديهم. وترسل قريش فتيانها للبحث عن محمد، ذهبوا إلى الشمال معتقدين أنه فى طريقه ليلحق بأتباعه من المسلمين الذين هاجروا إلى يثرب، ولكنهم لم يقفوا له على أثر.. وبحثوا فلما يئسوا اتجهوا إلى الجنوب وتسلقوا جبل ثور ووصلوا الغار فوجدوا أحد الرعاة فسألوه عما إذا كان قد رأى محمد وأبا بكر وأجاب الراعى:

«قد يكونان بالغار، وإن لم أر أحداً أمَّه».

وسمع النبى وأبوبكر الحديث وسمعا وقع أقدام الكفار وهم يتقدمون ناحية الغار، وأصيب أبو بكر بالخوف أما النبى ﷺ فلم يفقد سكينته وهمس أبو بكر فى أذن النبى: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا».

ورد عليه الرسول هامسًا: «يا أبا بكر ما ظنك فى رجلين الله ثالثهما. لا تحزن إن الله معنا».

ويتقدم فتيان قريش نحو الغار ولكن صاحبهم الذى دارحول الغار يردهم ويقول لهم أنه لم ير أحداً فى الغار.. وتفرق الكفار ونجى محمد ﷺ من شرهم.

وفى هذا نزل قول الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

طريق الهجرة

وتجمع كتب السيرة على أن محمداً وأبا بكرٍ قضيا ثلاثة أيام فى الغار حتى يئست قريش من العثور عليهما وثبطت همتها فى البحث، وبعدها أتاهما عامر بن فهيرة ببعيريهما فسلك بهما إلى يثرب طريقًا غير مألوف إلى وادى فاطمة ثم عسفان ثم إلى الشاطىء حيث مكان يدعى قُديد، وهو المكان الذى عنده أدرك سُراقة بن جعشم النبى وأبا بكر وخياله يداعبه فى أسر الرجلين أو قتلهما ليفوز بالإبل المائة التى رصدتها قريش جائزة لمن يرد

محمداً حيًا أو ميتًا لى مكة.. وعندما اقترب سراقة من النبى وصاحبه كبا جواده كبوة عنيفة طرحته أرضًا وجعلته يتطير ويؤمن بأن هناك قوة خفية تمنعه من إلحاق أى أذى بمحمد وصاحبه.. ووقف سراقة ونادى النبى بأعلى صوته: «أنا سراقة بن جعشم، انظرونى أكلمكم، فـــوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه» وأمر محمد أبا بكر فكتب له كتابًا يكون آية بينه وبين النبى. وأخذ سراقة الكتاب وعاد أدراجه، وجعل يضلل الذين يطاردون محمداً حتى لا يلحق بهما أحد.

ويقضى النبى فى طريقه إلى المدينة حوالى ٨ أيام كما تقول كتب السيرة يصل بعدها إلى قباء على بعد فرسخين (٦ أميال) من المدينة المنورة ويقضى بها أربعة أيام يدخل بعدها المدينة[١].

وفى قباء بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء وهو المسجد الذى أشار إليه الحق تبارك وتعالى فى قوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقد ورد فى مسجد قباء أن جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذى أشار على النبى ﷺ إلى موضع قبلته.

---

(١) مجلة العربى: مجلة شهرية تصدر فى الكويت.

ولما كان مسجد قباء أول مسجد بنى فى الإسلام وجُعل لعموم الناس من هذه الأمة، فقد كان النبى ﷺ يحمل له ذكريات كريمة فى نفسه، وقد ثبت فى الحديث الصحيح أنه كان يزوره كل يوم سبت تارة راكبًا وتارة ماشيًا، وفى الحديث الصحيح أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: صلاة فى مسجد قباء كعمرة». رواهما الشيخان[1].

وروى الترمذى عن أسيد بن ظهير عن النبى ﷺ قال: «لصلاة فى مسجد قباء ركعتين أحبّ إلىّ من أن آتى بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل»، وروى ابن ماجة عن سَهْل بن حُنيف أن النبى ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة».

(١) السيرة النبوية. الشيخ محمد أبو شهبة جـ ٢، ص ٢٠.

وصول النبى إلى المدينة
وبناؤه المسجد النبوى

أقام النبى ﷺ بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم خرج يوم الجمعة قاصداً البلد الطيب (طيبة)، فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى المسجد الذى ببطن الوادي: وادى (رانوناء»[1]، وهى أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة، بل قيل: هى أول صلاة جمعة[2] صلاها مطلقًا، لأنه لم يكن يتمكن فى مكة من الاجتماع بإصحابه حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان وموعظة لشدة مخالفة المشركين له وإيذائهم إياه وأصحابه، وفى هذه الجمعة خطب المسلمين خطبة بليغة مؤثرة تفيض بالإيمان واليقين،والمواعظ والزواجر، والترغيب والترهيب، وها هى الخطبة.

قال رسول الله ﷺ : «الحمد لله ، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به لا أكفره، وأعادى من يكفره،

---

(١) بين قباء ، والمدينة، ويعرف هذا المسجد اليوم «بمسجد الجمعة».

(٢) أما صلاة الجمعة جماعة فقد حدثت قبل مقدم النبى وكان أول من جمعهم على صلاة الجمعة أبو أمامة أسعد بن زرارة النجارى أحد النقباء الإثنى عشر ليلة العقبة الثانية. رواه ابن إسحاق وأبو داود وابن ماجة من طريقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلّة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنوٍّ من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرَّط، وضلَّ ضلالاً بعيداً.

وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة وأن يأمر بتقوى الله، فأحذروا ما حذَّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرى، وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية ولا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً فى عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدَّم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيدا، ﴿ ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾ هو الذى صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول تعالى: ﴿ ما يُبَدَّل القولُ لدىَّ وما أنا بظلام للعبيد ﴾.

واتقوا الله فى عاجل أمر كم وآجله، فى السر والعلانية، فإنه ﴿ من يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجراً ﴾ ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته،

وتوقى سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضى الرب، وترفع الدرجة.

خذوا بحظكم، ولا تفرِّطوا فى جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده، هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بيِّنة، ولا قوة إلا بالله.

فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفيه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

توسل الأنصار إلى الرسول أن ينزل عندهم

ثم أتاه رجال من بنى سالم بن عمرو بن عوف فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة[1]، ويتشبثون بزمام الناقة - ناقته القصواء - فيقول لهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، وكلما مر بدار من دور الأنصار فى الطريق عرضوا عليه أن ينزل عندهم

(١) بالعدد: الكثرة. العدة - بضم العين -: السلاح. المنعة: القوة وحماية الجار.

فى العدد والعدة والمنعة، فيقول لهم مثل قولته الأولى، حتى وصلت الناقة إلى موضع مسجده الشريف فبركت عنده، ورسول الله راكب عليها لم ينزل، ثم ثارت الناقة[1]، وسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه وألقت بجرانها[2].

فنزل رسول الله ﷺ فتنازعه الملأ أيهم ينزل عليه، فقال: «إنى أنزل على أخوال عبدالمطلب أكرمهم بذلك»، ثم سأل: «أى دور أهلنا أقرب»؟ فقال السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى: أنا، فاحتمل رحل رسول الله إلى منزله، فقال رسول الله ﷺ «المرء مع رحله» ثم جاء أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار ليلة العقبة الثانية وقد فاته شرف نزول رسول الله ﷺ عنده، فأخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده، واعتبر هذا شرفًا وكرامة له.

وكان نزول رسول الله ﷺ بدار السيد أبى أيوب الأنصارى منقبة عظيمة له ولبنى النجار جميعًا، وقد كان فى المدينة دور كثيرة، كل دار محلة مستقلة بمساكنها، ونخيلها، وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم، وهى

---

(١) ثارت: قامت.

(٢) جرانها: مقدم عنقها.

كالقرى المتلاصقة، فاختار الله الرسول ﷺ دار بنى مالك بن النجار تكريما لهم لخؤولتهم لرسول الله.

وقد أثنى رسول الله ﷺ على جميع دور الأنصار فقد ثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة، وفى كل دور الأنصار خير، فقال سعد بن عبادة: ما أرى النبى صلى الله عليه وسلام إلا قد فضَّل علينا، فقيل: قد فضلكم على كثير، وفى رواية أخرى عن أبى حميد الساعدى عن النبى ﷺ وزاد فيه فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة: ألم تر أن رسول الله ﷺ خيَّر الأنصار فجعلنا آخراً، فأدرك سعد النبى ﷺ فقال: يا رسول الله خيِّرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً؟ فقال: «أوليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار» وإنها لكياسة فى الجواب لن تكون إلا من صاحب العقل الكبير، والصدر الرحيب، والقول الفصل البليغ[1].

(١) المصدر السابق.

اليوم المشهود

وكان يومًا مشهوداً فى تاريخ الدنيا يوم دخل النبى ﷺ المدينة راكبا ناقته القصواء وأبو بكر الصديق ردفة[1]، وملأ بنى النجار حوله متقلدين سيوفهم يرهبون بها أعداء الله ورسوله، وممن تسول له نفسه من اليهود والمشركين أن ينال من رسول الله، ويعلموهم أنه إذا كان ترك أهله ووطنه إلى الله، فلا يزال فى عزة ومنعه من أخواله وأتباعه وأنصاره، إنه مشهد معبِّر يغنى عن الكلام والخطب!!.

وخرجت المدينة كلها بشبابها وشيبها، وصبيانها ونسائها وولائدها، لتشارك فى استقبال القادم الكريم وليملأوا عيونهم من هذا الذى أصبح ذكره على كل لسان، وأنصاره فى كل بيت. وكانوا يرددون النشيد.

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرف المدينة ... مرحبا يا خير داع

---

(١) ردفه يعنى خلفه، وقد كانت للصديق ناقة ولكن رسول الله أراد ذلك تكريما للصديق، وليرى الناس فى هذا اليوم المشهود منزلة الصديق منه.

وروى الإمام أحمد - فى وصف هذا المشهد الحافل - عن أنس بن مالك قال: (إنى لأسعى فى الغلمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئًا، ثم يقولون جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئًا، قال حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر، فكمنا فى بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق[1] لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو، فما رأينا منظراً شبيهًا به، قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض، فلم أر يومين شبيهًا بهما).

وخرجت جوارٍ - بنات - من بنى النجار يضربن بالدفوف وهنّ يقلن:

نحن جوارٍ[2] من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أتحببننى»؟ فقلن: أى والله يا رسول الله فقال: «وأنا والله أحبكم» ثلاثاً، وفى صحيح البخارى ومسلم فى حديث الهجرة: «وخرج الناس حين قدما

(١) العواتق: جمع عاتق، وهى الشابة أول ما تدرك.

(٢) جوار: جمع جارية وهى الشابة.

المدينة فى الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء رسول الله».

فى دار أبى أيوب الأنصارى

وأقام رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب معززا مكرما سبعة أشهر، حتى بنى المسجد وبنيت دور أهله ونسائه فانتقل إليها، ونزل رسول الله ﷺ أول ما نزل فى سفل دار أبى أيوب، وقد آلم أبا أيوب أن يكون رسول الله فى السفل، وألح عليه أن يكون فى العلو، حتى بين له النبى ﷺ أن ذلك أرفق به وبمن يأتيه من المسلمين والزائرين، فقد كانت دار أبى أيوب منتدى يجتمع فيه المسلمون.

وبالغ أبو أيوب فى إكرام رسول النبى ﷺ، وما كانت تطيب نفسه أن يأكل حتى يأكل رسول الله ﷺ، فكان يهيئ الطعام ويرسله إلى النبى> فإذا عادت القصعة سأل عن موضع أصابع النبى فأكل حيث أكل وفى ذات مرة صنع طعاما وكان فيه ثوم لم تذهب رائحته فسأل عن موضع أصابع الرسول فقيل له: لم يأكل منه، ففزع وذهب إليه وقال: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكننى أكرهه، فإنى أناجى من لا تناجى»[1] يريد الملائكة، وهى تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

(١) رواه الشيخان.

وفى مرة أخرى كسرت لأبى أيوب جرة فيها ماء، ففزع أبو أيوب والسيدة أم أيوب زوجه، وأسرعا إلى قطيفة لهما كانا يعتزان بها، فأخذاها وصار يجففان بها الماء خشية أن يسيل إلى أسفل البيت فيتأذى من ذلك رسول الله أو زواره.

وقد بلغ من أدب أبى أيوب وأهله - لما امتنع لرسول أن يصعد إلى العلو - أنهم كانوا لا ينزلون فى المكان المسامت لرسول ﷺ من العلو استحياء منه ﷺ، وهكذا فليكن الأدب والقيم الروحية العالية، ومع اعتذار رسول الله عن الصعود إلى العلو لم يزل به أبو أيوب، يرجوه ويلح فى الرجاء، حتى تقبل رسول الله ﷺ أن يكون فى العلو، إذ قد خف الزوار ولم يعد هناك من حرج.

وتسابق الأنصار فى إكرام وفادة رسول الله ﷺ، فما من ليلة إلا وتجد على دار أبى أيوب القصاع والجفان يأكل من يشاء، ويدع من يشاء، وكذلك تسابقوا فى إيواء المهاجرين وإكرامهم، وعرضوا عليهم أن يقاسموهم دورهم وأموالهم، بل وأعز شىء لديهم وهو التنازل لهم عن بعض أزواجهم كى ينكحوهن إذا رغبوا، ولكن المهاجرين أبوا واكتفوا منهم بالارتفاق والمواساة، وقد ضرب الأنصار فى مواساة إخوانهم المهاجرين مُثُلاً عليا تذكر بالإعظام والإكبار.

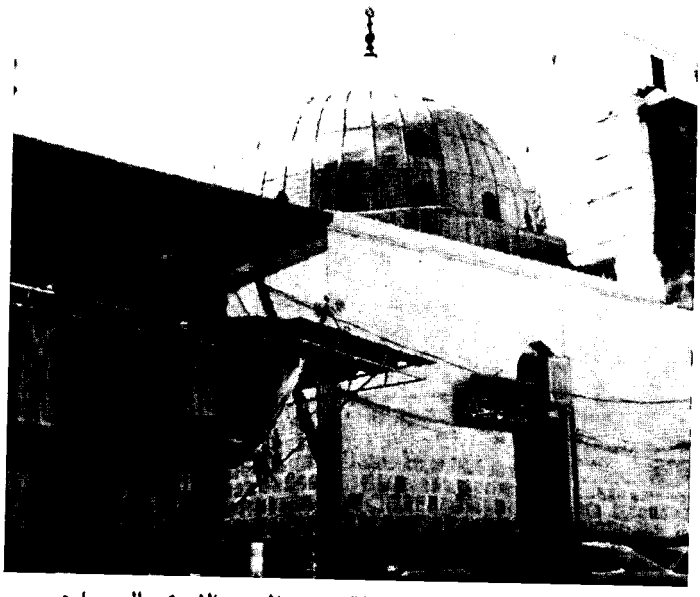

هذا المحل التجاري الذي يقع بالقرب من المسجد النبوي وإلى جواره مكتبة عارف حكمت ، هو مكان دار أبوأيوب الأنصاري ، تلك الدار التي نزل عليها النبي ﷺ عند قدومه من مكة مهاجرًا إلى المدينة.

وقد صارت دار أبى أيوب التى حظيت بهذا الشرف الرفيع إلى مولاه أفلح بعد وفاته، فاشتراها منه المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار، وأصلح ما وهى من بنيانها، ووهبها لأقل بيت فقراء.

جميل بجميل

ودارت الأيام دورتها، وقدم السيد الكريم أبو أيوب الأنصارى البصرة، وكان عليها يومئذ سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما واليا من قبل سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه، فوجد ابن عباس الفرصة سانحة لرد الجميل المذكور لسيدنا أبى أيوب، فخرج له عن داره وأنزله فيها كما أنزل رسول الله فى داره، وملكه كل ما أغلق عليها بابها، ولما أراد الانصراف من البصرة ودَّعه وأجزل له العطاء.

وما كان أبو أيوب - علم الله - ليرجو على ما عمل جزاء من أحد، ما كان يرجو إلارضاء الله ورسوله، ولكنه أدب من أداب الإسلام، رد المعروف بمثله أو بخير منه، وأحق من رعى هذا الأدب الرسول وآله الكرام، وقد قال معلِّم الناس الأدب والخير ﷺ: «من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه عليه، فإن لم تقدروا فادعوا له بخير» رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح.

إسلام عبدالله بن سلام وبعض أهله

وفى أثناء مقام الرسول بدار أبى أيوب الأنصارى قدم عليه أحد أحبار اليهود وعلمائهم وهو عبدالله بن سلام، وكان يعلم من كتبهم أوصاف النبى المبعوث فى آخر الزمان. فلما جاء إلى النبى سأله بعض أسئلة تأكد منها أنه النبى، لأنه مما يعلمها إلا نبى، فأسلم وقال للرسول: لا تعلن إسلامى حتى تتسآل اليهود عنى، لأنهم إن علموا إسلامى فسيتنقصوننى.

فأرسل إليهم النبى وسألهم عنه، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، فلما أخبرهم بإسلامه قالوا: شرنا وابن شرنا وإليك هذه القصة كما روها البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال:

«... فلما جاء نبى الله صلى عليه وسلم جاء عبدالله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بالحق، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فأدعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت.. فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ بما ليس فىَّ.

فأرسل نبى الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق، فأسلموا» فقالوا: ما نعلمه.

قال: «فأى رجل فيكم عبدالله بن سلام» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا قالت: «أفرأيتم إن أسلم» قالوا: حاش لله ما كان ليسلم، وكررها وأجابوه - ثلاثا - قال: «يا ابن سلام أخرج عليهم» فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء يحق، فقالوا: كذبت وفى رواية أخرى أنهم قالوا: شرنا وابن شرنا وتنقصهم فقال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[1] وقد أسلم بإسلام أهل بيته، وعمة له تسمى خالدة بنت الحارث[2].

وأما غيره من أحبار اليهود فقد طمس الحقد والحسد على قلوب الكثيرين منهم، وأبوا أن يؤمنوا، فكان عاقبة أمرهم خسراً ووبالا فى الدنيا والآخرة، كما سيأتى إن شاء الله[3].

---

(١) صحيح البخارى باب هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة» و«باب إتيان اليهود النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة».

(٢) فتح البارى ج ٧ ص ٢٠٢.

(٣) السيرة النبوية الشيخ محمد أو شهبة جـ٢ ص٢١ وما بعدها.

بناء المسجد النبوى
ومراحل تطوره إلى الآن

ولعله من المفيد هنا أن نذكر المراحل التى مر بها الحرم النبوى الشريف من حيث عمارته.. وقد كان المكان الذى يقوم المسجد فيه مربدا لغلامين يتيمين فى المدينة هما سهل وسهيل إبنا عمرو وهو المكان الذى بركت فيه ناقة النبى ﷺ عند وصوله المدينة قادما من قباء واختاره النبى مكانا للمسجد على أن يشترى الأرض من اليتيمين وقد اشترك النبى ﷺ فى عملية البناء فكان ينقل اللبنات وشاركه فى عمله هذا كبار الصحابة، وكان على ابن أبى طالب رضى الله عنه يعمل فى البناء ويرتجز:

لا يستوى من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

وتم بناء المسجد وكان فى غاية البساطة جُدرانه من اللبن (أى الطين غير المحروق) وسقفه من الجريد وعمده من جذوع النخل، وبقى المسجد على هذه الحال حوالى ست سنوات إلى أن زاد النبى فى مساحته مائة متر مربع بعد غزوة خيبر وبقى المسجد على حاله إلى أن تولى عمر الخلافة وبدأ توسيع المسجد فى السنة السابعة عشرة من الهجرة.

وفى عام ٢٤ هـ. تولى عثمان بن عفان الخلافة وقام ببناء جدران المسجد بالحجارة وجعل أعمدته من حجارة منقورة أدخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاص ونقشها من الخارج، وجعل سقفه من الساج.

وفى عام ٨٨ هـ، أمر الوليد بن عبدالملك واليه على المدينة عمر بن عبدالعزيز بضم بيوت النبى إلى المسجد، وهدم المسجد وأقيم مكانه مسجد جديد أقيمت له ٤ مآذن وفرشت أرضه بالرخام، ونقشت حوائطه بالفسيفساء وكسى سقفه بالذهب وجعلت أعمدته من المرمر، وفى عهد العباسيين قام المهدى بتوسيع المسجد من ناحيته الشمالية فى عام ١٦٠هـ.

الحريق الأول للمسجد

استقر المسجد على زيادة المهدى إلا أن المسجد احترق فى شهر رمضان عام ٦٥٤هـ، إذ ترك أحد الحراس موقد المصابيح مشتعلا فى مخازن المسجد فامتدت النار منه إلى سقف المسجد وسرت إلى الحرم كله، ونتيجة لضعف الخليفة العباسى المستعصم وانشغاله بالحرب مع التتار فقد ظلت عمارة المسجد تتعثر حتى تولى الملك الظاهر بيبرس أمر مصر بعد ست سنوات من الحريق وأمر بتجهيز الأدوات اللازمة لبناء المسجد من أخشاب وحديد ورصاص وجهز الصناع وأرسلهم إلى المدينة حتى أتموا المسجد كما

كان قبل الحريق وتمت بعد ذلك بعض الإصلاحات فى سقف المسجد وقد أقام المنصور قلاوون حاكم مصر القبة المشهورة فوق الحجرة النبوية فى عام ٦٧٨هـ.

الحريق الثانى

وفى عام ٨٨٦ هـ انقضت صاعقة على مئذنة المسجد الرئيسية وانتقلت النار من المئذنة إلى سقف المسجد فالتهمته ولم يسلم من الحريق إلا الحجرة النبوية والقبة التى بالصحن، وقد كتب أهل المدينة للأشرف قايتباى والى مصر بأمر الحريق فأرسل المؤن والعمال وكل المواد والنقود وتم تسقيف المسجد فى عام ٨٨٨هـ. وتمت العمارة كلها حوالى عام ٨٩٠ هـ. وبنى للمصلى النبوى محراب، كما بنى المحراب العثمانى.

وعندما كان إبراهيم بن محمد على والى مصر واليا على جده ومحافظا على المدينة قام بعماره المسجد النبوى عام ١٢٣٣ هـ ١٨١٧م.

زيادة السلطان عبدالمجيد

فى عام ١٢٦٣ هـ أى بعد مرور حوالى ٣٨٧ عاما بعد الحريق الثانى للمسجد آلت بعض أسقف المسجد للسقوط ووصل خبرها إلى السلطان عبدالمجيد فى استانبول فأمر بإرسال المهندسين والنجارين والصناع والمؤن وبدأت العمارة فى المسجد فى عام

١٢٦٥هـ وانتهت فى عام ١٢٧٧هـ وهى العمارة المعروفة بالعمارة المجيدية والتى لا يزال الجزء القبلى منها حتى الآن.

التوسعة السعودية الأولى

شعر الناس بضيق الحرم النبوى خصوصا فى أيام الزيارة، وفى عام ١٣٦٥هـ اكتشف بعض التصدع فى الجزء الشمالى للعمارة المجيدية وبعد أن قام الفنيون بفحص أساسات الأعمدة أصدر الملك عبدالعزيز آل سعود أمره بتوسعة وعمارة المسجد النبوى وبدئ فى تنفيذ التوسعة فى عام ١٣٧٠ هـ واستمرت عمليات التوسعة والبناء خمس سنوات وقد بلغت مساحة الحرم النبوى بعمارتيه المجيدية والسعودية ١٦٢٣٧ مترا مربعا، وتكلفت العمارة السعودية حوالى ٥٠ مليون ريال (١١ مليون دولار) بما فى ذلك التعويضات التى صرفت لأصحاب الأراضى التى دخلت فى المسجد بعد توسعته.

ومما يذكر أن العمارة المجيدية عندما كان محمد على واليا على مصر تحملت مصر المصاريف وأرسلت العمال ومواد البناء.

واستمرت التوسعات فى المسجد النبوى على يد ملوك المملكة العربية السعودية ابتداء من الملك عبد العزيز ومن تلاه من أولاده حتى أصبح المسجد النبوى فى أحسن صورة ومما يلزم التنويه عنه أن عماره قايتباى لازال أثرها باقيا على باب السلام من أعلى

حيث توجد لوحة رخامية مكتوب عليها ما يتضمن أنه أعطى أمير المدينة عطاءا كل عام نظير عدم فرض أية مبالغ على الحجاج.

كما أن المحراب الذى أنشأه قايتباى لازال مكانه فى الروضة الشريفة وتوجد نصوص كثيرة بأعلى المقصورة الشريفة التى حول الحجرة النبوية بالجهة الغربية منها «أنشأ هذه المقصورة الشريفة سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف أبوالنصر قايتباى عام ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية (١٤٨٣م) كما توجد مدائح نبوية على المقصورة أيضًا ويوجد على السطح الداخلى للقبة العلوية أعلى الحجرة النبوية أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير (السلطان أشرف أبوالنصر) قايتباى تقبل منه فى عام ثمان وثمانين وثمانمائة (١٤٨٣م) كما يوجد نص محفور على لوح من النحاس مثبت على ضلفتى باب جبريل ثلاث مرات من الخارج ضلفة يمين:

أمر بعمارة هذا المسجد على صاحبه أفضل الصلاة والسلام مولانا العبد الفقير إلى الله تعالى.

ضلفة يسار (بالنسبة للداخل إلى المسجد).

السلطان الملك الأشرف أبوالنصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين خادم الحرمين.

وهذه النصوص أكثر من أن نحصيها فى هذا الكتاب كما أن العمارة العثمانية باقية إلى الآن وبعجز القلم عن وصفها.

التوسعة السعودية الثالثة:

فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تمت أضخم توسعة للمسجد النبوى من الجهة الشمالية والشرقية والغربية وترتب على هذه التوسعة أن أصبحت (المدينة المنورة فى عهد رسول الله ﷺ) كلها فى المسجد النبوى.

أبواب المسجد النبوى

كان عدد أبواب المسجد النبوى قبل العمارة والتوسعة السعودية أربعة أبواب رئيسية وهى موجودة إلى الآن وهى باب السلام وباب الرحمة بالحائط الغربى وباب جبريل وباب النساء فى الحائط الشرقى منها ما أنشىء فى عهد السلطان قايتباى أحد حكام المماليك ومنها ماأقيم فى عهد الدولة العثمانية.

وأضاف السلطان عبد المجيد بابًا خامسًا هو الباب المجيدى الذى ما يزال موجوداً إلى الآن فى الجهة الشمالية عندما قام بعمارة المسجد.

ثم قام الملك عبد العزيز بعمارة المسجد وتوسعته وقد بدء فى هدم المبانى المحيطة بالمسجد من الجهة الغربية فى ٥ شوال سنة ١٣٧٠ ١٠ يوليو ١٩٥١ ثم شرع فى حفر الأساس فى الجناح

الغربى بمنقة باب الرحمة الذى يقع شمال باب السلام فى حائط المسجد الغربى وذلك فى ١٤ شعبان ١٣٧٢هـ ٢٩ ابريل ١٩٥٣م وافتتح المسجد بعد التوسعة فى ٥ ربيع الأول ١٣٧٥هـ ٢٢ أكتوبر ١٩٥٥ وترتب على هذا التوسعة أن أضيف إلى المسجد بابان أحدهما فى الحائط الشرقى باب عبد العزيز يقابله فى الحائط الغربى باب سعود.

باب عثمان بن عفان ويقع فى ركن المسجد الشمالى الشرقى.

باب عمر بن الخطاب ويقع فى ركن المسجد الشمالى الغربى وقد استحدث بوابة بثلاث أبواب وتم فتح ثلاث منافذ فى عمارة السلطان عبد المجيد منها منذ خوخة أبى بكر وهذه المنافذ تؤدى إلى المسجد النبوى وقد سميت باب الصديق.

وفى العمارة الحديثة التى تمت فى عهد الملك فهد وصل عدد أبواب المسجد النبوى قديمها وحديثها ٨٢ اثنين وثمانين بابًا.

حجرات النبى ﷺ

وفى الركن الجنوبى الشرقى من المسجد بنى رسول الله ﷺ الحجرات ليقيم فيها هو وأمهات المؤمنين ولم يكن لها أبواب إنما أسدل عليها ستور مصنوعة من الشعر لتحجب داخلها عن الخارج.

أخرج البخارى فى الأدب عن داود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشاة من خارجها بمسوح الشعر وعن الحسن. كنت أدخل بيوت أزواج النبى ﷺ فى خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدى وقد أدخلت فى المسجد فى عهد الوليد بن عبد الملك وبكى الناس لذلك قال سعيد بن المسيب إذ ذلك والله لوددت أنهم تركوها على حالها ليراها النشء من أهل المدينة ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به النبى ﷺ فى حياته فيكون ذلك داعيًا إلى ترك التفاخر والتكاثر.

(أخرجه البخارى فى الأدب المفرد جـ١ ص٥٣٨).

وقد دفن النبى ﷺ فى حجرة السيدة عائشة رضى الله عنها.

الحجرة النبوية الشريفة
فى العصور المختلفة

فى العصر الأموى:

بنيت حوائط الغرفة النبوية بالحجارة المنحوتة البازلتية ولم يعمل بها أبواب ووضع على سقفها مشمعا وعمل حولها «النطاق المزور» بشكل غرفة ذات خمسة أضلاع غير متساوية محرفة عن القبلة حتى لا يصلى إليها الناس فى الصلاة وكانت الحوائط الخارجية لا تصل إلى سقف المسجد وعمل بها شباك وعلى سطح المسجد عمل سور فى أعلى منطقة القبر لئلا يسير عليه أحد.

عصر المماليك البحرية:

أقام السلطان قلاوون عام ٦٧٨هـ ١٢٧٩م لأول مرة قبة على القبر النبوى عليها ألواح من الرصاص ثم جددها السلطان الناصر حسن.

عصر المماليك الجراكسة:

عملت قبة داخلية من الحجارة البازلتية بدلاً من السقف الخشبى ورفع سقف الغرفة الداخلى وبنيت الحوائط الداخلية بالحجارة وجدد رخام الحجرة النبوية باستعمال الرخام الأبيض والأحمر كما جددت المقصورة الخشبية حول القبر النبوى وكان ذلك

العمل ٧ شوال سنة ٨٨١هـ ٦ يناير ١٤٧٧م. وفى عام ٨٨٨هـ ١٤٨٣م عمل مقصورة من شبابيك من النحاس فى عهد السلطان قايتباى، وهى قائمة حتى الآن.

وقد حظيت قبة القبر النبوى بالاهتمام الكبير فى عهد السلطان محمود الثانى أحد خلفاء المسلمين فى الدولة العثمانية فهدمت القبة التى أقيمت على عهد قايتباى لوجود شروخ بها وعملت قبة جيدة وغطيت بالرصاص ودهنت باللون الأخضر وكان ذلك عام ١٢٢٨هـ - ص١٨١٣م وهى القبة الموجودة حتى الآن.

الروضة الشريفة

تقع الروضة الشريفة ما بين حجرة الرسول ﷺ والمنبر وسميت بهذا الاسم لقول الرسول ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» وتزدحم الروضة بالمسلمين دائمًا ومدخلها من عند باب السلام من أروع المشاهد.

زيارة مسجد الرسول ﷺ

وما على الحاج، وقد أدى فرضه، وأتم نسكه - إلا أن يشد الرحال إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد النبى الكريم، ولينعم بالقرب منه، والصلاة والسلام عليه.

وزيارة المسجد النبوى سنة قبل الحج، أو بعده لما روى الإمام البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة. فيما سواه إلا المسجد الحرام) وقال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى).

ويستحب للزائر إذا وصل مشارف المدينة: ورأى مبانيها، أن يصلى على النبى ﷺ. ويقول: اللهم هذا حرم نبيك فاجعله وقاية لى من النار وأمانا من العذاب. وسوء الحساب. فإذا دخلها واطمأن على أمتعته يستحب له أن يغتسل، ويتطيب، ويلبس أحسن ثيابه ويتوجه إلى الحرم النبوى متواضعًا، عليه السكينة والوقار، فإذا بلغ المسجد، فعل ما يفعله عند الدخول فى سائر المساجد، فقدم رجله اليمنى وقال: باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. اللهم افتح لى أبواب رحمتك...، ثم يقصد

إلى الروضة النبوية بين القبر الشريف والمنبر، فيصلى فيها ركعتين لله سنة تحية المسجد، ويدعو الله بما أحب من خيرى الدنيا والآخرة. موقنًا أنه فى مهبط الرحمة، وموطن الإجابة، ورياض الجنة. قال ﷺ: (ما بين بيتى، ومنبرى روضة من رياض الجنة).

ثم ينهض من صلاته، ويتوجه إلى قبره ﷺ، ويقف عند رأسه الشريف، فى أدب وإجلال. ويتمثل صورته الكريمة البهية، كأنه نائم فى لحده، يسمع كلامه. قال عليه الصلاة والسلام «ما من أحد يسلم على إلا رد الله عَلىَّ روحى حتى أرد عليه السلام» يسلم عليه. عليه الصلاة والسلام فى صوت خفيض، ويقول: السلام عليك يارسول الله ورحمة وبركاته. السلام عليك يا نبى الله. السلام عليك ياخيرة الله من خلقه. السلام عليك ياسيد المرسلين، وإمام المتقين، أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت فى الله حق جهاده.. ويصلى عليه - عليه الصلاة والسلام، ويبلغه سلام من أوصاه.

ثم يتحول قدر ذراع، حتى يحاذى رأس أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله. السلام عليك يا صاحب رسول الله فى الغار، السلام عليك يا رفيقه فى الأسفار. السلام عليك يا أمينه فى الأسرار - جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماما عن أمة نبيه.

ثم يتحول قدر ذراع، حتى يحاذى قبر عمر رضى الله تعالى عنه ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين. السلام عليك يا مظهر الإسلام. السلام عليك يا مكسر الأصنام جزاك الله عنا أفضل الجزاء.

ثم يستقبل القبلة، ويدعو لنفسه، ووالديه، ولمن أوصاه بالدعاء ولجميع المسلمين.

ويسن له بعد أن يفرغ من الزيارة، أن يخرج إلى البقيع حيث يرقد الأبطال المجاهدون، من الأنصار والمهاجرين والصالحين، فيزور قبورهم، ويدعو لهم، قال ابن عباس رضى الله عنهما مر النبى ﷺ بقبور أهل المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم: أهل القبور يغفر الله لنا ولكم. أنتم سلفنا ونحن بالأثر.

ويستحب له أن يزور شهداء أحد، وقبر سيد الشهداء حمزة، لأن النبى ﷺ، كان يزورهم، ويدعو لهم.

وأن يأتى مسجد قباء، أول مسجد بناه الرسول فى المدينة، ويصلى فيه لما فى الصحيحين، من حديث ابن عمر قال. - كان النبى ﷺ، يزور مسجد قباء راكبًا وماشيًا ويصلى فيه ركعتين. وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه. - قال -. قال رسول الله ﷺ (من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة).

ويسن لزائر مسجد رسول الله أن يصلى الصلوات الخمس فيه مدة إقامته بالمدينة، وأن يكثر من صلاة النافلة فى الروضة الشريفة اغتنامًا لما فى ذلك من الأجر الجزيل وأن يكثر من الذكر والدعاء والتسبيح والثناء والتوبة والاستغفار.

وإذا أراد الزائر الرجوع إلى بلده استحب له أن يودع المسجد بصلاة ركعتين فيه. وأن يأتى قبر رسول الله ﷺ فيصلى. ويسلم عليه وعلى صاحبيه سائلاً الله تبارك وتعالى، ألا يجعل هذا آخر عهده به، وأن ييسر له العودة مرات ومرات.

منظر كسوة
الحجرة النبوية الشريفة من الداخل

فضائل المدينة

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إن الإيمان ليأرز[1] إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحْرِها

وروى الطبـــرانى عن أبى هريرة - بإسناد لا بأس به - أن رسـول الله ﷺ قـال: المدينة قـبلة الإسـلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومثوى الحلال والحرام. وعن عمر رضى الله عنه قال: غلا السعر بالمدينة فاشتد الجهد.

فقال رسول الله ﷺ: «اصبروا، وأبشروا فإنى قد باركت على صاعكم ومدكم، وكلوا ولا تتفرقوا، فإن طعام الواحد يكفى الاثنين،وطعـام الاثنين يكفى الأربعـة، وطعـام الأربعـة يكفى الخمسة و الستة، وإن البركة فى الجماعة، من صبر على لأوائها وشدتها. كنت له شفيعًا وشهيداً يوم القيامة، ومن خرج عنها، رغبة عما فيها أبدل الله به من هو خير منه فيها، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء» رواه البزار بسند جيد.

فضل الموت فى المدينة:

روى الطبرانى بإسناد حسن عن امرأة يتيمة كانت عند رسول الله ﷺ من ثقيف: أن رسول الله ﷺ قال: «من استطاع منكم أن

(١) يأرز: أى ينضم ويتجمع.

يموت بالمدينة فليمت، فإنه مَن مات بها كنت له شهيداً، أو شفيعًا يوم القيامة».

ولهذا سأل عمر - رضى الله عنه - ربه أن يموت فى المدينة.

فقد روى البخارى عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر قال: «اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى حرم رسولك ﷺ».

الشباك النحاسي أمام قبر النبي ﷺ وقد دفن ﷺ في بيته الذي كان يسكنه مع السيدة عائشة رضي الله عنها، ثم دفن معه صاحباه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، وضمت الحجرة المطهرة إلى الحرم النبوي في عهد الوليد بن عبدالملك.

باب السلام بالمسجد النبوي
ويُرى أعلاه نص تاريخي للسلطان قايتباي
(راجع ص ٢٤٦)

المسجد النبوي
باب السلام ـ العمارة العثمانية والسعودية
(راجع ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧)

يتم صنع كسوة الكعبة الشريفة في مصنع بمكة المكرمة . وثوب الكعبة مصنوع من الحرير الطبيعي الصافي وله بطانة من الداخل ويحيط بالكعبة الحزام والبرقع وقد كتب فيهما آيات قرآنية مختلفة بأسلاك الفضة الحرة وأسلاك الفضة المذهبة. ويستهلك الثوب في حزامه وبرقعه ومربعاته ومستطيلاته المستقلة ٨٠ كيلو جراما من الفضة المطلية بالذهب و ٤٠ كيلو جراما من الفضة الخالصة (راجع ص ٢٠٨) .

غار حراء حيث نزل الوحي أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والصورة تبين ضيق فتحته وصعوبة الدخول إليه (راجع ص ٢١٩).

المسجد النبوي
محراب السلطان سليمان ـ ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م
(راجع ص ٢٤١ وما بعدها)

مقام إبراهيم ـ وهو المكان الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام أثناء قيامه ببناء الكعبة بعد أن ارتفع بناؤها عن متناول يده ، وقد أقيمت هذه القبة النحاسية على الحجر الذي يقال أن إبراهيم عليه السلام كان يقف عليه.
(راجع ص ٢١٤)

هنا في هذا المكان ولد النبي صلى الله عليه وسلم . وتمثل الصورة مبنى المكتبة المتواضع الذي أقيم حيث ولد الرسول عليه الصلاة والسلام (راجع ص ٢١٦) .

تمتاز العمارة المجيدية بروعة البناء والنقوش والثريات التي تزين الحوائط وتتدلى من الأسقف ، وقد ساهمت كل الدول الإسلامية في إهداء الكثير من التحف والثريات والسجاد للحرم النبوي الشريف (راجع ص ٢٤٣).

المسجد النبوي ـ باب جـبريل
(راجع ص ٢٤٦)

المسجد النبوي ـ باب النســاء
(راجع ص ٢٤٦)

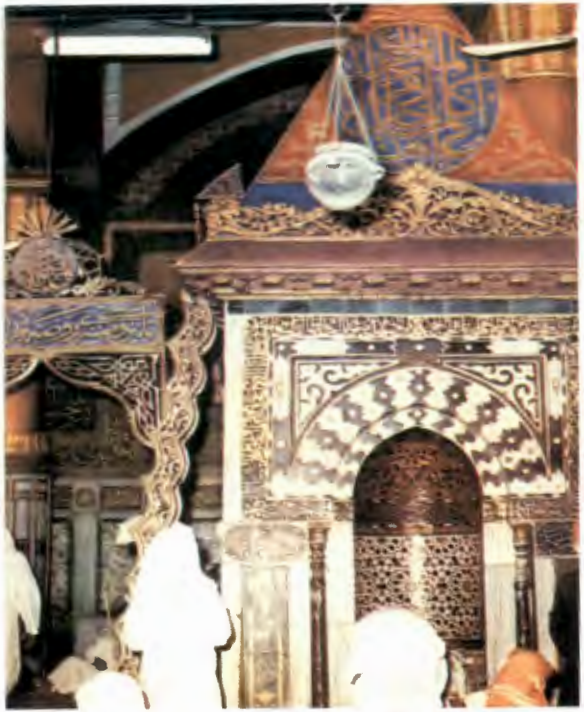

هذا المحراب الذي كتب عليه (هذا مصلى النبي عليه السلام) أهداه السلطان قايتباي إلى المسجد النبوي وأقيم في المكان الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام يصلي فيه بالمسلمين إمامًا وقد ولى وجهه شطر الكعبة (راجع ص ٢٤٥) .

الشباك النحاسي أمام قبر النبي ﷺ وقد دُفن ﷺ في بيته الذي كان يسكنه مع السيدة عائشة رضي الله عنها، ثم دفن معه صاحباه أبوبكر وعمر رضي الله عنهما (راجع ص ٢٤٩).

الروضة الشريفة (راجع ص ٢٥٠)

المزارات

١- جبل أحد وجبل الرماة : حيث كانت هناك معركة أحد ويوجد قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جبير وباقى شهداء أحد.

٢- موقع غزوة الأحزاب (الخندق): حيث يوجد عدد من المساجد الصغيرة التى أقامها الصحابة رضوان الله عليهم وجددت الآن.

٣- مسجد قباء: ورد ذكره فى القرآن الكريم ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

٤- مسجد الفتح: سمى المسجد بالفتح لأن الله سبحانه وتعالى أنزل سورة الفتح على الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا المكان.

٥- مسجد القبلتين: سمى بمسجد القبلتين لأن الرسول ﷺ أمر بأن يستقبل الكعبة بدلاً من بيت المقدس بينما كان يصلى صلاة الظهر بالمسجد هذه هى المزارات التى ألف الحجاج والمعتمرين أن يقوموا بزيارتها.

المساجد الموجودة
حول المسجد النبوى

١- مسجد الغمامة أو المصلى: يقع جنوب غرب المناخة وهذا المسجد آخر المواضع التى صلى بها الرسول ﷺ صلاة العيد.

ويطلق الناس على هذا المسجد مسجد الغمامة وذلك لما يشاع بأن الشمس حجبت عنه ﷺ عند صلاته فى هذا المكان بغمامه.

٢- مسجد أبى بكر الصديق: هذا المسجد يطل على شارع المناخة.

٣- مسجد عمر بن الخطاب: يقع قريبًا من قباء.

٤- مسجد على بن أبى طالب: كان فى الأصل مصلى العيد لعلى بن أبى طالب. ويقع حاليًا على شارع المناخة.

٥- مسجد الجمعة: صلى الرسول ﷺ فيه الجمعة وهو عائد من قباء.

٦- مسجد أبى ذر الغفارى.

ذكرت هذه المساجد لأنها من معالم المدينة وتوجد مساجد غيرها لكننى اكتفيت بما ذكرت.

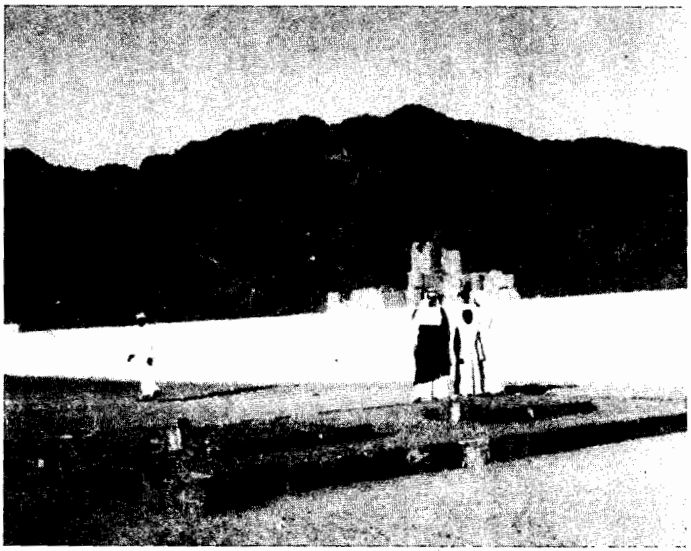

جبل أحد الذي دارت فيه معركة أحد ، ويظهر في مقدمة الصورة
قبر حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه.

مسجد قباء هو أول مسجد بني في الإسلام ، بناه رسول الله ﷺ بعد وصوله إلى قرية قباء مهاجرا من مكة.

خاتمة

وبعد:

فيا أخي الحاج

لقد شرفك الله بحج بيته الحرام، وغفر لك ما تقدم من ذنبك، فعليك بعد ذلك أن تكون مثالاً للمؤمن الصادق، عاملاً على نشر المفاهيم الصحيحة للإسلام فى كل مكان، متمسكًا بكتاب الله وسنة رسوله، مربيًا نفسك على اليقظة الدائمة والتطلع المستمر إلى الله والاستعانة به على جميع شئونك، واحرص على أن تعيش حياتك كلها فى ضيافة ربك لتسعد بقربه. وتهنأ بحبه، وتظفر بخيرى الدنيا والآخرة.

وفقنا الله جميعًا إلى ما يحبه ويرضاه وهدانا إلى الحق و إلى طريق مستقيم آمين».

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين.

مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر.
- تفسير النسفى.
- فقه السنة، للشيخ سيد سابق.
- السيرة النبوية فى ضوء القرآن الكريم للشيخ محمد أبو شبهة.
- مجلة الوعى الإسلامى، مجلة شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، مجلة العربى، مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت.
- مرآة الحرمين، اللواء إبراهيم رفعت.
- الكعبة فى العصور المختلفة، أبو القاسم زين العابدين.
- المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى للأستاذ صالح لمعى مصطفى.

تعريف بالمؤلف

- ولد فى قرية بنى عدى ١٩٤٧/٩/١٢م التابعة لمركز منفلوط محافظة أسيوط.

- حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية.

- التحق بمعهد بنى عدى الدينى حيث حصل على الشهادة الإعدادية الأزهرية.

- التحق بمعهد القاهرة الثانوى الأزهرى وحصل على الشهادة الثانوية.

- التحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر.

- حصل على الإجازة العالية عام ١٩٧٣ وفى نفس العام عين معاونًا بالنيابة العامة وتدرج فى السلك القضائى.

- يشغل الآن منصب رئيس استئناف بمحكمة استئناف القاهرة.

كتب للمؤلف

١- التعليق على قانون إجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية مع شرح المشكلات العملية فى دعوى الخلع.

يطلب من مكتبة نادى القضاه

٢- الرؤية الإسلامية للقضية الإسلامية.

الناشر المكتب المصرى الحديث

٣- ليلة القدر منحة الله للأمة الإسلامية.

الناشر المكتب المصرى الحديث

كتب تحت الطبع:

- أنيس المؤمنين وسمير الصالحين.

- فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية، الطبعة الثانية.

الفهرس

الموضوع	الصفحه
- مقدمة	٥
- متى فرض الحج	٨
- من حكمة الحج	٩
- الحج مؤتمر لولاة أمور المسلمين	١١
- دليل وجوب الحج من القرآن	٢٠
- دليل وجوب الحج من السنة	٢١
- ثواب الحج	٢٢
- الحج المبرور	٢٤
- حكم الحج من المال الحرام	٢٦
- جواز الحج عن الغير	٢٧
- فضل الوقوف بعرفه	٢٨
- حكم من مات وهو ذاهب إلى الحج أو عائد	٣٠
- هل يجوز تأخير الحج للمستطيع؟	٣٢
- آراء الفقهاء من حج المرأة بدون محرم	٣٣
- استئذان المرأة زوجها	٣٥
- حكم الاتجار للحاج	٣٦
- من مات وعليه حج	٣٨
- حجة رسول الله ﷺ	٤٠

الموضوع	الصفحه
- أركان الحج ستة	٥٢
- واجبات الحج	٥٤
- محظورات الإحرام	٥٦
- حكم من ارتكب محظور من محظورات الإحرام	٥٧
- آداب الإحرام	٥٨
- أنواع الاحرام	٦٠
- أى أنواع النسك أفضل؟	٦٣
- معًا إلى الرحلة المقدسة	٦٥
- فضل الطواف	٧٢
- شروط الطواف	٧٤
- سنن الطواف	٧٨
- المزاحمة على الحجر	٨٠
- حكمة الرمل	٨٢
- صلاة ركعتين بعد الطواف	٨٥
- المرور أمام المصلى فى الحرم المكى	٨٦
- طواف الرجال مع النساء	٨٧
- ركوب الطائف	٨٨
- استحباب الشرب من ماء زمزم	٨٩
- قصة عبد المطلب وحفره لزمزم	٩٢
- استحباب الدعاء عند الملتزم	٩٧
- استحباب دخول الكعبة وحجر إسماعيل	٩٧
- السعى بين الصفا والمروة	٩٩

- الصعود على الصفا ١٠٤
- الموالاة فى السعى ١٠٤
- الطهارة للسعى ١٠٥
- المشى والركوب فيه ١٠٦
- استحباب السعى بين الميلين ١٠٧
- استحباب الرقى على الصفا والمروة والدعاء عليهما مع استقبال البيت ١٠٩
- الدعاء بين الصفا والمروة ١١٠
- التوجه إلى منى ١١١
- جواز الخروج قبل يوم التروية ١١٢
- التوجه إلى عرفات ١١٢
- الوقوف بعرفه ١١٣
- فضل يوم عرفه ١١٣
- حكم الوقوف ١١٥
- المقصود بالوقوف ١١٥
- استحباب الوقوف عند الصخرات ١١٦
- استحباب الغسل ١١٧
- الوقوف سنه إبراهيم عليه السلام ١٢٠
- صيام يوم عرفه ١٢٠
- الجمع بين الظهر والعصر ١٢١
- الإفاضة من عرفه ١٢٢
- الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفه ١٢٣
- المبيت بالمزدلفه والوقوف بها ١٢٣
- مكان الوقوف ١٢٥

- أعمال يوم النحر ١٢٦
- التحلل الأول والثانى ١٢٧
- رمى الجمار ١٢٨
- حكمته ١٢٩
- حكمه ١٣٠
- من أين يأخذ الحصى؟ ١٣٢
- عدد الحصى ١٣٢
- أيام الرمى ١٣٣
- الرمى يوم النحر ١٣٤
- هل يجوز تأخير الرمى إلى الليل؟ ١٣٥
- رمى الجمرة من فوقها ١٣٧
- الرمى فى الأيام الثلاثة ١٣٧
- الوقوف والدعاء بعد الرمى فى أيام التشريق ١٣٨
- الترتيب فى الرمى ١٣٩
- استحباب التكبير والدعاء مع كل حصاه ووضعها بين أصابعة ١٤٠
- النيابة فى الرمى ١٤١
- المبيت بمنى ١٤١
- متى يرجع من منى؟ ١٤٢
- الهدى ١٤٢
- الأفضل فيه ١٤٣
- أقل ما يجزئ فى الهدى ١٤٣
- متى تجب البدنه؟ ١٤٤
- أقسامه ١٤٥

- شروط الهدى ١٤٥
- استحباب اختيار الهدى ١٤٦
- إشعار الهدى وتقليده ١٤٧
- الحكمة فى الإشعار والتقليد ١٤٧
- ركوب الهدى ١٤٨
- وقت الذبح ١٤٨
- مكان الذبح ١٤٩
- لا يعطى الجزار الأجرة من الهدى ١٥١
- الأكل من لحوم الهدى ١٥١
- مقدار ما يأكله من الهدى ١٥٢
- الحلق أو التقصير ١٥٣
- وقته ١٥٤
- إستحباب إمرار الموس على رأس الأصلع ١٥٦
- إستحباب تقليم الأظفار والأخذ من الشارب ١٥٦
- أمر المرأة بالتقصير ونهيها عن الحلق ١٥٦
- القدر الذى تأخذه المرأة من رأسها ١٥٧
- طواف الإفاضه ١٥٨
- تعجيل الإفاضة للنساء ١٥٩
- موجز لأيام الحج ١٦٠
- ماذا تفعل فى اليوم الثامن من ذى الحجة؟ ١٦١
- ماذا تفعل فى اليوم التاسع من ذى الحجة؟ ١٦١
- ماذا تفعل فى اليوم العاشر؟ «يوم العيد»؟ ١٦١
- ماذا تفعل فى اليوم الحادى عشر؟ ١٦٢
- ماذا تفعل فى اليوم الثانى عشر؟ ١٦٢

- طواف الوداع ١٦٣
- حكمه ١٦٤
- نصائح طبية للحجاج ١٦٦
- من أحسن ما كتب عن الحج ١٧٠
- دليل الحج ١٧١
- الرفيق قبل الطريق ١٧٥
- يا أخوتى الحجاج ١٧٦
- لباسه الرسمى ١٧٧
- أجيبوا داعى الله ١٧٧
- هذه حدود الحرم ألا ترون أعلامها ؟ ١٧٩
- لبيك لأبى نواس ١٨١
- لك الدين يارب الحجيج لأحمد شوقى ١٨٣
- أسماء الكعبة ١٨٥
- بناء إبراهيم للكعبه ١٨٥
- بناء قريش للكعبه ١٨٧
- انتقاص قواعد إبراهيم ١٨٩
- رسول الله ﷺ يضع الحجر الأسود ١٨٩
- بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ١٩١
- وضع الحجر الأسود ١٩٤
- وصف بناء ابن الزبير ١٩٤
- بناء الحجاج ١٩٦
- ندم ١٩٦
- بناء السلطان مراد ١٩٨
- اجتماع بشأن الإصلاح ١٩٩

- العلماء باب الرحمة ٢٠٠
- الإستعداد للبناء ٢٠١
- مجلس المندوب ٢٠٢
- بسم الله الرحمن الرحيم «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم» ٢٠٤
- عمارة المسجد الحرام ٢٠٥
- العمارة العثمانية ٢٠٦
- التوسعة السعودية ٢٠٧
- كسوة الكعبة ٢٠٨
- الملتزم ٢١٠
- الحجر ٢١٢
- مقام إبراهيم ٢١٤
من معالم الكعبه ٢١٥
- الدار التى ولد فيه الرسول ﷺ ٢١٦
- دار الأرقم ٢١٧
- غار حراء مهبط الوحى ٢١٩
- منى وعرفات والعقبة الكبري ٢٢١
- إلى المدينة ٢٢٣
- طريق الهجرة ٢٢٥
- وصول النبى إلى المدينة وبناؤه المسجد النبوى ٢٢٨
- توسل الأنصار إلى الرسول أن ينزل عندهم ٢٣٠
- اليوم المشهود ٢٣٣
- فى دار أبى أيوب الأنصارى ٢٣٥
- جميل بجميل ٢٣٨

- إسلام عبد الله بن سلام وبعض اهله ٢٣٩
- بناء المسجد النبوى ومراحل تطوره إلى الآن ٢٤١
- الحريق الأول للمسجد ٢٤٢
- الحريق الثانى ٢٤٣
- زيادة السلطان عبد المجيد ٢٤٣
- التوسعة السعودية الأولى ٢٤٤
- أبواب المسجد النبوى ٢٤٦
- حجرات النبى ﷺ ٢٤٨
- الحجرة النبوية الشريفة فى العصور المختلفة ٢٤٩
  - فى العصر الأموى ٢٤٩
  - فى عصر المماليك البحرية ٢٤٩
  - فى عصر المماليك الجراكسه ٢٤٩
- الروضة الشريفة ٢٥٠
- زيارة مسجد الرسول ﷺ ٢٥١
- فضائل المدينة ٢٥٥
- المزارات ٢٦٧
- المساجد الموجوده حول المسجد النبوى ٢٦٨
- خاتمة ٢٦٩
- مراجع البحث ٢٧٠
- تعريف بالمؤلف ٢٧١
- كتب للمؤلف ٢٧٢